التناسب بين الرتبة والمقام في مآخذ ابن رشيق على المتنبي في كتاب العمدة

(دراسة في ضوء نقد النقد)

إعداد

أ.م نجلاء محمود حسين أحمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

التناسب بين الرتبة والمقام في مآخذ ابن رشيق على المتنبي في كتاب العمدة

(دراسة في ضوء نقد النقد)

نجلاء محمود حسين أحمد
قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر بأسيوط، مصر
البريد الإلكتروني: drng.mh@gmail.com

الملخص

هدف البحث إلى النظر في مناقدة ابن رشيق للمتنبي فيما لا يتناسب مع الرتبة والمقام .

ومن هنا قام البحث في تقسيمه على بيان مواضع عدم مراعاة الرتبة، ومواضع عدم مراعاة المقام ؛ ولذا اشتمل البحث على مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويعقبهما خاتمة وفهرس لمصادر البحث وقد جاءت المباحث كالتالي:

المبحث الأول : عدم مراعاة الرتبة ، والمبحث الثاني : عدم مراعاة المقام .

وخلص البحث إلى ضرورة الرجوع إلى مقتضيات الأحوال التي تحيط بالنص الشعري قبل نقده والحكم عليه جمالا وقبحا ؛ حتى يكون الناقد منصفا في حكمه.

الكلمات المفتاحية: ابن رشيق – المتنبي – الرتبة –المقام–التناسب ــ مقتضى الحال ــ النص الشعري ــ نقد النقد.

The proportionality between rank and station in Ibn Rashiq's views on Al-Mutanabi in the book of the umdah

(A study in the light of criticism criticism)

Naglaa Mahmoud Hussein Ahmed
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic Girls, Al-Azhar University, Assiut, Egypt
Email: drng.mh@gmail.com

Abstract

The aim of the research is to look at Ibn Rashiq's criticism of Al-Mutanabbi in what is not commensurate with the rank and station.

Hence the research, in dividing it into an indication of the places where the rank was not taken into account, and the places where the place was not taken into account. Therefore, the research included two topics preceded by an introduction and a preface, followed by a conclusion and an index of the sources of the research. The investigations came as follows:

The first topic: not taking into account the rank, and the second topic: not taking into account the position
The research concluded that it is necessary to refer to the requirements of the conditions that surround the poetic text before criticizing it and judging it for beauty and ugliness; So that the critic is fair in his judgment.

Keywords: Ibn Rashiq - Al-Mutanabbi - Rank - Place - Proportionality - Poetic Text - Criticism Of Criticism.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشـــرف المرســـلين سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

فإنه مما اتفق عليه القوم أنه لا بد من أن يتناسب الكلام مع الرتبة والمقام ، وما البلاغة إلا مراعاة الكلام لمقتضى الحال.

ومن ثم كان للبليغ في اللغة العالية أن يتصرف في القـــول مفـــردًا ومركبًا وفق مقتضيات من الغرض المراد ، والسياق بكل صوره شريطة أن لا يخرج بكلامه عن تلك المقتضيات ... ولكن الأديب قد يتصرف في كلامه ، ويخرج به عن المألوف ... فيقف خلف اختيار كلماته الشعور والخيـــال الخصب والحالة النفسية ، كل هذه الدوافع تجعله ينتقي كلمة دون غيرها أو تركيب دون آخر بما يتناسب مع دوافعه التي لا تتناسب – أحيانًـــا – مـــع مقتضى الحال .

وهذا ما فعله المتنبي[1] حين خرج بكلامه عن المألوف _ في نظـــر

---

(١) أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي (٣٠٣ ـــ ٣٥٤ هـ) = (٩١٥ ـــ ٩٦٥ م)
أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفـــي الكـــوفي الكنـــدي، أَبُـــو الطَّيِّـــب المُتَنَبِّي :الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ. له الأمثال السائرة والحكم البالغـــة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلـــة تسمى (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر صبيا وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفـــة والشـــام) فتبعـــه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشـــيد) فأســـره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. ووفد على سيد الدولـــة ابـــن حمـــدان (صـــاحب=

=حلب) سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه. وقصد العراق، فقرئ عليه ديوانه. وزار بلاد فارس فمر بأرجان ومدح فيها ابن العميد وكانت له معه مساجلات. ورحل إلى شيراز فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلميّ. وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضا، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محمد وغلامه مفلح، بالنعمانيّة، بالقرب من دير العاقول) في الجانب الغربي من سواد بغداد . (وفاتك هذا خال ضبة بن يزيد الأسدي العيني، الّذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة. وهي من سقطات المتنبي.أما ديوان شعره – ط فمشروح شروحا وافية. وقد جمع الصاحب ابن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه – ط (وتباري الكتاب قديما وحديثا في الكتابة عنه، فألف الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه – ط (والحاتمي) الرسالة الموضحة في سرقات أبي الطيب وساقط شعره – خ (والبديعي) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي – ط (والصاحب ابن عباد) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي – ط (والثعالبي) أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي وما له وما عليه – ط (والمتيم الإفريقي) الانتصار المنبي عن فضل المتنبي (وعبد الوهاب عزام) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام – ط (وشفيق جبري) المتنبي – ط (وطه حسين) مع المتنبي – ط جزآن (ومحمد عبد المجيد) أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي، ما له وما عليه – ط (ومحمد مهدي علام) فلسفة المتنبي من شعره –ط (ومحمد كمال حلمي) أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي – ط (ومثله لفؤاد البستاني، ولمحمود محمد شاكر، ولزكي المحاسني.

الأعلام ج١ص١١٥المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م وينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ١ ص ١٢٠-١٢٥ المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر

بعض النقاد_ مما جعل النقاد يعيبون عليه ذلك ، ويعدونه عيبا؛ نظرًا لسير النقاد على معايير نظرية وفق قواعد اطردت عندهم ، وقاسوا عليها الكلام حسنًا وقبحًا ، فكان بعض الكلام على غير هذه القواعد ينتقد...

وهذا ما فعله ابن رشيق[1] في كتابه العمدة الذي أخذ على المتنبي عدم مراعاة الرتبة والمقام في الكلام ، في تجاوز المتنبي للمألوف عنده من قواعد نقدية وبلاغية ، من دون الرجوع إلى مقتضيات الأحوال التي أحاطت بالنص الشعري للمتنبي.

ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠

(١) ابن رَشِيق (٣٩٠ ــ ٤٦٣ هـ) = ١٠٠٠ - ١٠٧١ م

الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي :أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلّيّة، وأقام بمازر إحدى مدنها، إلى أن توفي. من كتبه : العمدة في صناعة الشعر ونقده. ومن تصانيفه أيضاً : "قراضة الذهب" ، وهو لطيف الجرم كبير الفائدة، وله كتاب " الشذوذ " في اللغة، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها. وكتاب " طراز الأدب "وكتاب " الممادح والمذام " وكتاب " متفق التصحيف " وكتاب " تحرير الموازنة "وكتاب " الاتصال " وكتاب " المن والفداء " وكتاب " غريب الأوصاف وألطاف التشبيهات لما انفرد به المحدثون " وكتاب " أرواح الكتب " وكتاب " شعراء الكتاب "وكتاب " المعونة " في الرخص والضرورات وكتاب " الرياحين " وكتاب " صدق المدائح "وكتاب " الأسماء المعربة " وكتاب " إثبات المنازعة " وكتاب " معالم التاريخ " وكتاب " التوسع في مضايق القول " وكتاب " الحيلة والاحتراس.

ورشيق : بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف. ينظر : وفيات الأعيان ج٢ ص ٨٥-٨٩ ، الأعلام ج٢ ص ١٩١ .

إذ إنه يجب على الناقد ألا يقتطع البيت عن سياقه ، وأن ينظر إلى الحالة النفسية للشاعر وقت قوله الشعر، حتى يكون منصفا في الحكم على الشاعر .

ومن ثم كان جديرًا بالبحث النظر إلى تلك الأبيات التي عدها ابن رشيق من المآخذ على المتنبي ؛ ولذا اخترت أن يكون موضوع بحثي:

التناسب بين الرتبة والمقام في مآخذ ابن رشيق على المتنبي في كتاب العمدة (دراسة في ضوء نقد النقد)

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور منها :

١ ــ معاودة النظر في الشواهد المستقبحة عند البلاغيين على أساس من السياق ومقتضيات الأحوال .

٢ المزج بين الأحكام النقدية والشواهد البلاغية .

٣ ــ توظيف التذوق في فهم الشعر وتفاعله مع تعبير الشاعر، وما وراءه من معانٍ تتوافق مع شعور المتكلم ونفسيته ، وتتناسب مع السياق والتركيب.

أما عن منهجي في البحث :

فقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك باستقصاء الشواهد التي حكم فيها ابن رشيق في كتابه : (العمدة) بمخالفتها ، وخروجها عن المقتضى، مما جعلها غير مناسبة للرتبة أو المقام. ثم تحليل الشواهد ، وتوضيحها ، وبيان ما استدعى من الشاعر هذا الخروج عن المألوف.

وقد اشتمل هذا البحث على مبحثين ومقدمة وتمهيد ، ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث وقد جاء كالآتي :

المقدمة : تكلمت فيها عن أسباب اختياري للموضوع وخطة البحث

التمهيد : وجاء على قسمين:

القسم الأول : بعنوان (الرتبة والعلاقة بينها وبين مقتضيات الشعر)

القسم الآخر: بعنوان (المقام بين المفهوم والمقتضى)

المبحث الأول : بعنوان (عدم مراعاة الرتبة)

وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : عدم مراعاة رتبة المخاطب

المطلب الثاني : عدم مراعاة رتبة المتكلم.

المطلب الثالث: عدم مراعاة الرتبة بين الوالد وولده.

المبحث الثاني : بعنوان (عدم مراعاة المقام)

وقد قسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : عدم التناسب بين مقام الحزن في الرثـــاء وألفـــاظ الفرح.

المطلب الثاني : عدم التناسب في مقام الطرب.

الخاتمة : وتناولت فيها نتائج البحث والتوصيات .

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع

والله أسأل أن يهديني سواء السبيل ، ويعصمني من الزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

التمهيد

١- الرتبة والعلاقة بينها وبين مقتضيات الشعر

الرُّتْبةُ والمَرْتَبةُ :المَنْزِلةُ عِنْدَ المُلوكِ وَنَحْوُهَا..... المَرْتَبةُ :المَنْزِلةُ الرَّفِيعةُ؛ ...وَهِيَ مَفْعلة مِن رَتَبَ إِذا انْتَصَبَ قَائمًا، والمَراتِبُ جَمْعُها . قَالَ الأَصمعي : والمَرْتبةُ المَرْقَبةُ وَهِيَ أَعْلَى الجَبَل . وَقَالَ الْخَلِيلُ :المَراتِبُ فِي الجَبل والصَّحارِي: هِيَ الأَعْلامُ الَّتِي تُرَتَّبُ فِيهَا العُيُونُ والرُّقَباءُ . والرَّتَبُ :الصُّخُورُ المُتقارِبةُ، وبعضُها أَرفعُ مِنْ بَعْضٍ، وَاحِدَتُهَا رَتَبةٌ، وَحُكِيَتْ عَنْ يَعْقُوبَ، بِضَمِّ الراءِ وَفَتْحِ التاءِ.(١)

مما اتفق عليه القوم أن مراعاة الرتبة أمر حتمي في الكلام، سواء أكانت هذه الرتبة هي رتبة المخاطب أو رتبة المتكلم، فيجب تنزيل كل منزلته في الكلام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهُم" (٢) وقد تحدث الجاحظ عن مراعاة أقدار السامعين، وأن يجعل المتحدث لكل طبقة كلامًا خاصًّا بها فقال : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار

---

(١) لسان العرب ج١ ص ١١٠المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) سنن أبي داود ج٧ ص ٢١٠ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١]

ومما لا شك فيه أن الخطاب يختلف باختلاف رتبة المخاطب ؛ فلكل رتبة خصوصية في الخطاب، وطبقات الناس مختلفة ، ومن هنا ينبغي ألا يكون خطاب العامة كخطاب الخاصة ، وقد نبه على ذلك الجاحظ بقوله : "الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي، وبكلّ قد تكلموا، وبكلّ قد تمادحوا وتعايبوا"[٢]

ويتحدث ابن طباطبا العلوي عن صفات الأديب وكيف يخاطب الناس على حسب رتبهم ، ويجعلهم في طبقات متفاوتة ، كما يجعل لكل طبقة ما يناسبها من الكلام فيقول: "ويكون(أي الأديب) كالنَّسَّاج الحاذِق الَّذِي يُفَوِّفُ وَشْيَهُ بأحسَنِ التَّفْوِيف ويُسَدِّيه ويُنيرُهُ، ولَا يُهَلْهِلُ شَيْئا منهُ فَيَشِينهُ،وكالنَّقَّاش الرَّقيق الَّذِي يَضَعُ الأصْبَاغَ فِي أَحْسَنِ تَقَاسِيمِ نَقْشِهِ، ويُشْبِعُ كلّ صِبْغٍ مِنْهَا حَتَّى يتضاعَفَ حُسْنُهُ فِي العَيَانِ، وكناظِمِ الجَوْهر الَّذِي يُؤَلِّفُ بَين النَّفِيس مِنْهَا والثَّمين الرَّائق، ولَا يشين عُقودَ بأنْ يُفَاوتَ بَين جواهِرِهَا فِي نَظْمها وتَنْسيقها، وكَذَلكَ الشَّاعرُ إذا أسَّسَ شِعْرَهُ على أَن يَأْتِي فِيهِ الْكَلَام البَدَويِّ الفَصِيح لم يَخْلطْ بِهِ الحَضَرِيَّ المُوَلَّدَ، وَإِذا أتَى بلَفْظَةٍ غريبةٍ أتْبَعَهَا أخَواتِها.

وكَذَلكَ إذَا سَهَّلَ أَلفاظَهُ لم يَخْلط بهَا الألفَاظَ الوَحْشِيَّةَ النافرةَ الصَّعْبَةَ

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص ١٣١ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

(٢) السابق ج١ ص ١٣٥

القياد، ويقفُ على مَرَاتِب القَوْلِ والوَصفِ فِي فَنٍّ بَعْـد فَـنٍّ، ويتَعَمَّـدُ الصَّـدقَ، والوفقَ فِي تَشْبيهاته وحِكَايَاتِه، ويُحْضِرُ لبَّهُ عندَ كلِّ مُخاطبةٍ وَوَصْفٍ، فَيُخَاطِـبُ الملوكَ بِمَا يَسْتَحِقُونَهُ من جَلِيلِ المُخَاطباتِ ويَتَـوقَّى حَطّهَـا عَـن مَرَاتبهـا وأَنْ يَخْلطَهَا بالعَامَّةِ، كَمَا يَتَوقَّى أَن يرفَعَ العَامَّةَ إِلَى دَرَجَات المُلُوك. وَيُعدُّ لكُلِّ مَعْنى مَا يَلِيق بِهِ ولكُلِّ طَبَقَةٍ مَا يُشَاكِلُهَا حتَّى تكون الاستفادةُ من عقلهِ فِي وَضْعِه الكَـلامَ مواضِعَهُ أَكْثَرَ من الاستفَادةِ من قَوْلِه فِي تَحْسِين نَسْجِهِ، وإِبدَاعِ نَظْمِـهِ. ويَسْـلكُ مِنْهَاجَ أَصْحَاب الرَّسائل فِي بَلاغَاتهم وتَصَرُّفهم فِي مُكَاتَباتهم"(١)

وابن عبد ربه تحدث في كتابه العقد الفريد عـن الخطـاب الملائـم للخلفاء والذي به يستطيع المتحدث استعطافهم واستمالة قلوبهم فقـال : " ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده فـي مخاطبـة الملـوك، والتزلّف إليهم بسحر البيان، الذي يمازج الرّوح لطافة، ويجري مع النفس رقّة. والكلام الرقيق مصايد القلوب، وإن منه لمـا يسـتعطف المستشـيط غيظا، والمندمل حقدا، حتى يطفئ جمرة غيظه، ويسل دفائن حقـده ، وإن منه لما يستميل قلب اللئيم، ويأخذ بسمع الكريم وبصره. وقـد جعلـه الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة. وشافعًا مقبولا؛ قال تبـارك وتعـالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) "(٣)

و حازم القرطاجني تحدث عن أصناف المخاطبين أيضًا وكيف يكون

---

(١) عيار الشعر ص ٨-٩ المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بـن إبـراهيم طباطبـا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ) المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢) البقرة أية ٣٧ .

(٣) العقد الفريد ج٢ ص٣ تأليف : أحمد بن محمد بن عبد ربـه الأندلسـي المتـوفى: ٣٢٨هـ ـ تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنـان ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م "

الحديث مع كل صنف فقد ذكر بعض الرتب كالخلفاء والأمـــراء والـــوزراء والقضاة، والخطاب المناسب لكل رتبة فقال: " ويجب أن يقصد فـــي مـــدح صنف صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد فـــي مـــدح واحد واحد ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها، وأن لا يجعل الشيء منها حلية لمن لا يستحقه ولا هو من بابه.

فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلهـــا وأكملها كنصر الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك. وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط، وأن يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقا واجبا إلى تقريظهم بما يكـــون مـــن ذلك نافلة وفضلا.

ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويمن النقيبة وسداد الـــرأي والتيقظ والحزم والدهاء وما ناسب ذلك. ويطمح بهم في الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم وما انتهت إليه ممالكهم حتى تكون رتبة العظماء منهم ثانية عن رتبة الخلفاء، وتتدرج مراتبهم في ذلك على أدنى ما يتميز بـــه الملـــك عن السوقة.

ومدح الوزراء ومن حل محلهم من الكتاب يكون بـــالعلم والحلـــم والكرم وحسن التدبير وتثمير الأموال ونحو ذلك. وينبغي أن يكون المطمح في وصف كل وزير على قدر مستوزره، فيكون لوزراء الخلفاء فـــي ذلـــك مزية لا تلحق ورتبة لا تسامى حتى إن مراتب كثير من الملوك ربما قصرت عن مراتبهم، ثم تندرج مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرناه فـــي مراتـــب الملوك .

ومدح القضاة يكون بالعلم والتقى والدين والنزاهـــة والعـــدل بـــين الخصوم وإنصاف المظلوم وما جرى ذلك المجرى. ولهم أيضاً مراتب فيما

ينبغي أن ينحلوه من الأوصاف، فيطمح بقضاة الخلفاء ثم بقضاة الملوك ثم بقضاة الأصقاع الكبار إلى حيث لا يطمح بغيرهم. وينبغي أيضاً أن يكون تعظيمهم على قدر عظمهم في علومهم وأديانهم وعقولهم...

فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون المدح، وأن يحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كل طبقة من الممدوحين. فلا يُسمَى بها إلى الرتب التي فوقها ولا ينحط بها إلى ما دونها. (١)

وهكذا لا بد أن يكون لكل رتبة ما يناسبها حتي يكون للكلام ذلك الأثر المرجو منه ؛ لأن قاعدة الشعر هي التأثير كما يقول المنفلوطي عن الشعر إنه" تصوير ناطق ؛ لأن قاعدة الشعر المطردة هي التأثير، وميزان جودته ما يترك في النفس من الأثر، وسر ذلك التأثير أن الشاعر يتمكن ببراعة أسلوبه وقوة خياله ودقة مسلكه وسعة حيلته من هتك ذلك الستار المسبل دون قلبه، وتصوير ما في نفسه للسامع تصويرًا يكاد يراه بعينه ويلمسه ببنانه، فيصبح شريكه في حسه ووجدانه يبكي لبكائه ويضحك لضحكه ويغضب لغضبه ويطرب لطربه ويطير"(٢)

٢ــ المقام بين المفهوم والمقتضى:

المُقَامُ والمُقَامَةُ :الْمَوْضِعُ الَّذِي تُقيم فِيهِ. والمُقَامَة، بِالضَّمِّ :الإِقامة. والمَقَامَة، بِالْفَتْحِ :الْمَجْلِسُ وَالْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ : وَأَمَّا المَقامُ والمُقامُ

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٧٠ ـــ ١٧١ صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ــ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.

(٢) النظرات ج٢ ص ١٩٤المؤلف: مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (المتوفى: ١٣٤٣هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

فَقَدْ يَكُونُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الإِقامة، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى مَوْضِعِ القِيام، لأَنك إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ قَامَ يَقُوم فَمَفْتُوحٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَقَامَ يُقِيمُ فَمضْموم، فَإِنَّ الْفِعْلَ إِذَا جَاوَزَ الثَّلَاثَةَ فَالْمَوْضِعُ مَضْمُومُ الْمِيمِ، لأَنه مُشَبَّه بِبَنَاتِ الأَربعة نَحْوُ دَحْرَجَ وَهَذَا مُدَحْرَجُنا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى :﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (١)، أَيْ لَا مَوْضِعَ لَكُمْ، وقُرِئَ لَا مُقامَ لَكُمْ بِالضَّمِّ، أَيْ لَا إِقَامَةَ لَكُمْ. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٢)؛ أَي مَوْضِعًا .(٣) فالمقام هو الحال الذي يستدعي نظما ويستلزمه.

لقد شغلت قضية المقام الكثير من النقاد، كما احتل المقام مكانة بارزة في كتب البلاغة ، ومن أبرز الذين تكلموا عن المقام وأورد كلام العلماء فيه الجاحظ ؛ حيث بين لنا أن لكل حال مقالا ومن هنا اشتهرت في كتب البلاغة مقولة (لكل مقام مقال)؛ فجاء في كتابه (البيان والتبيين)"والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العام ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال". (٤)

ويوضح الباقلاني أن التفاوت في الشعر يكون على حسب التصرف في الأحوال فيقول" ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ، رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه، ووقف دونه، وبان الاختلاف على

---

(١) الأحزاب من الآية ١٣

(٢) الفرقان من الآية ٧٦

(٣) لسان العرب ج١٢ ص١٩٨

(٤) البيان والتبيين ج١ ص١٢٩

شعره"[١]

كذلك السكاكي تكلم عن المقام ووضح لنا كيف يكون التفاوت في مقامات الكلام فقال: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال"[٢]

وينبغي للكلام أن يكون مناسبا للغرض" ومناسبة الكلام للغرض :بأن يناسبه في الرِّقَّة والجَزَالة، وبأن تناسبَه كيفيَّةُ انتظامِه من سَجْعٍ وتَرَسُّلٍ وإيجاز وإطناب وبَسَاطَةٍ وصَنْعَة، وهذا أهمُّ شيءٍ في الإنشاء وأصعبُه... ولا شك أنَّ لأحوال المتكلِّمين أيضًا علاقةً بحالةِ إنشائِهم، فلذلك غَلَب على

---

(١) إعجاز القرآن ص ٥٤-٥٥ للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٨ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

العرب الأندلسيين الرِّقَّةُ في الكلام، وعلى العرب في صدر الإسلام الجَزَالة، وعلى أهل الحواضر والسَّبْق في المدنِيَّة مُخْتَرَعُ المعاني، وبعكسهم أهل البوادي... أنَّ الرِّقَّة والصَّنْعَة تُستَحْسَنان في الأغراض الهَزَليَّة، والتَّهَاني، والمقامات، والمواعظ الترغيبيَّة، ومخاطَبات الأصدقاء في المودَّة ونحوها. والجَزَالة وما يقرُب منها تُستحسَن في المراثي، والتَّرْهِيبات، والحروب، والمخاطَبات مِن العظماء، والأدعية، والتآليف العِلْمية. والسَّجْع يحسُن وَقْعُه في المقامات، والتَّهَاني، والودَادِيَّات، والغَرَاميَّات، لِقُرْبه من الشِّعْر وديباجات التآليف، ومقدمات التَّحْلية في المخاطَبات والأمثال والحِكَم؛ لأنَّ المراد تعلُّقها بالحِفْظ، والسَّجْعُ يُعين على ذلك مثل النظم. والتَّرَسُّل يحسُن في الأدعية، والخُطَب، والمواعظ، والعِلْميات، والتاريخ، والتَّراجِم، ومخاطَبات العموم، والمراسلات الدَّوْلية، والصُّكوك والشروط ونحوها. ومتى وُضِع فَنٌّ من فنون أحوال الألفاظ المركَّبة في غير موضعِه المناسب جاء سَمِجًا."(١)

كما ينبغي للشاعر أن يتخير ألفاظه وتراكيبه بعناية فائقة ، يراعي بذلك الأحوال والأغراض "فَيَنبغي للشاعر فِي عَصْرنا أَن لَا يُظْهِرَ شِعْرَهُ إلاَّ بعد ثِقَتِهِ بجَوْدَتهِ وحُسْنِه وسَلامتهِ من العُيوب الَّتِي نُبِّهَ عَلَيْهَا وأُمِرَ بالتَّحرُّز مِنْهَا، ونُهِيَ عَن استعمَال نَظَائرها. ولَا يَضَعُ فِي نَفْسِهِ أنّ الشِّعْرَ موضِعُ اضطرار وأنَّهُ يَسْلُك سَبِيلَ من كَانَ قبلَهُ، ويحتجُّ بالأبيات الَّتِي عِيبَتْ على قَائلِهَا، فَلَيْسَ يُقْتَدى بالمُسِيء، وإنَّما الاقْتِدَاء بالمُحْسِن، وكُلٌّ واثق فِيهِ حَجِلٌ

(١) ينظر أصول الإنشاء والخطابة ص ١٠٥-١٠٦المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) المحقق: ياسر بن حامد المطيري الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ .

إلاّ الْقَلِيل"(١)

وليس هذا فقط وإنما" يَنْبَغِي للشَّاعر أنْ يَجْتَنِبَ الإشَارَاتِ البَعِيدةَ، والحكاياتِ الغَلِقَة، والإيَماءَ المُشْكِلَ، ويتعَمَّدَ مَا خَالَف ذَلك، وَيَسْتَعْمِل من المَجَاز مَا يُقَارب الحَقيقَة وَلَا يُبْعُدُ عَنْهَا، وَمن الاستعَارَاتِ مَا يليقُ بالمعاني الَّتِي يَأْتِي بِهَا"(٢)

ومن هنا ندرك أنه متى راعى الشاعر المقام ، ولاءم كلامه مقتضى الحال كان محسنا أيما إحسان، ولا سيما إذا أضاف إلى ذلك حسن تخير الكلمة وملاءمتها للمعنى مع جودة التراكيب والبعد عن الغريب والمشكل ؛ فيرتفع بذلك شأن الكلام والمتكلم. ولذلك قيل "البلاغة في الكلام :مطابقته لمقتضى الحال، مع فصاحته".(٣)

---

(١) عيار الشعر ص ١٤ .

(٢) السابق ص٢٠٠ .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص٩٠ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

المبحث الأول
عدم مراعاة الرتبة

سبق القول بأن مراعاة الرتبة في الكلام أمر حتمي ، وبعض النقاد يعدون الخروج عن ذلك عيبًا ينبغي ألا يحدث ، لكن بعض الشعراء يخرجون عن ذلك لأسباب يقصدونها ،فيستغرب ذلك منهم ، وإذا نقب الباحث ووقف على تلك الأسباب التي جعلتهم يخرجون عن المألوف زال استغرابهم ، بل وحل محله الإعجاب. يقول ابن طباطبا في هذا الشأن:" فإذا اتَّفَقَ لَك فِي أَشْعَار العَرَب الَّتِي يُحْتَجُّ بهَا تَشْبيهٌ لَا تَتَلَقَّاه بقَبُول، أَو حكايةٌ تَسْتَغْرِبُهَا فابْحَثْ عَنهُ ونَقِّر عَن معنَاه فإنَّك لَا تَعْدم أنْ تَجِدَ تَحْتَهُ خَبيئةً إذا أَثَرْتَهَا عَرَفْتَ فَضْلَ القَوم بهَا، وعلِمْتَ أنَّهم أَرَقُّ طبعا مِنْ أنْ يَلْفظوا بكلامٍ لَا مَعْنى تحته. ورُبَّما خَفِيَ عَلَيْكَ مَذْهَبُهم فِي سَنَنٍ يَسْتَعملُونَهَا بَينهم فِي حَالاتٍ يصفُونَهَا فِي أَشْعارهم فَلَا يُمكِنُك استنباطُ مَا تحتَ حكايَاتِهِمْ، ولَا يُفْهَم مثلُهَا إلاَّ سَمَاعًا، فَإذا وقَفَتَ على مَا أرَادُوهُ لَطُفَ مَوْقِعُ مَا تَسْمَعُهُ من ذَلك عِنْد فَهْمَكَ."(١)

والمتنبي من أولئك الشعراء الذين خرجوا عن المألوف في أشعارهم ، فعاب عليه بعض النقاد ذلك الخروج ، ومنهم ابن رشيق الذي أخذ على المتنبي عدم مراعاة الرتبة في الكلام .

والحق أن المتنبي كان رجلا ذا أنفة يعتد بنفسه ويعتز بذاته ومما يوضح ذلك أنه " اشترط المتنبي علي سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحة لا ينشده إلا وهو قاعد؛ وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه، فنسب إلى الجنون، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع إلى ما

---

(١) عيار الشعر ص ١٦

يرد منه"[1]

"وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه هجاه وفارقه"[2]

كما مر الرجل بأحوال نفسية عديدة ؛ ما بين رضا وسخط ،وحب وكره ، وتقريب وإبعاد، فكان لابد أن يؤثر ذلك على كلامه وطريقة خطابه.

ومن هنا ينبغي للناقد أن يقف على الحالة النفسية للقائل وقت قوله للشعر ، وشعوره ، كما ينبغي ألا يقتطع البيت عن سياقه وقت الحكم، فلقول الشعر ملابسات عديدة يجب على الناقد ألا يغفلها ؛ حتى يكون حكمه منصفًا.

وهذا ما سيتضح من خلال ذلك المبحث الذي قسمته إلى ثلاثة مطالب:

الأول : عدم مراعاة رتبة المخاطب

الثاني : عدم مراعاة رتبة المتكلم.

الثالث : عدم مراعاة الرتبة بين الوالد وولده.

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ج١ ص٤٦-٤٧ (مطبوع بهامش شرح العكبري) المؤلف: يوسف البديعي الدمشقي (المتوفى: ١٠٧٣هـ) الناشر: المطبعة العامرة الشرفية الطبعة: الأولى، ١٣٠٨ هـ

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج١ ص١٢٥

المطلب الأول : عدم مراعاة رتبة المخاطب.

من المآخذ التي أخذها ابن رشيق على المتنبي عدم مراعاة رتبة المخاطب وعد ذلك عيبًا، والحق أن الكثير من العلماء تكلم عن مراعاة رتبة المخاطب _كما مر_ ووضعوا لذلك قواعد ينبغي للمتكلم ألا يحيد عنها ومن ذلك قول ابن الأثير "والتفريط في إيراد المعاني الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه، والإفراط يجوز استعماله؛ فمنه الحسن، ومنه دون ذلك. فمما جاء من التفريط قول الأعشى:

وما مزبد من خليج الفرا ت جون غواربه تلتطم
بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

فإنه مدح ملكا بالجود بماعونه، والماعون : كل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدر، أو ما أشبه ذلك، وليس للملوك في بذله مدح، ولا لأوساط الناس أيضًا، وفي مدح السوقة به قولان، ومدح الملوك به عيب وذم فاحش، وهذا من أقبح التفريط.(١)

وكذلك قول العلوي" اعلم أن من جملة الآداب الحسنة، واللطائف المستحسنة، أن تترك الخطاب لأهل المدائح بالأمر له بكذا وكذا، وإنما تخرجه مخرج الاستفهام، إعظامًا للممدوح وإجلالا له، عن أن يكون مأمورًا، وما حاله إذا فعل فإنه يكسب الكلام جمالا ويزيده أبّهة ويعطيه كمالا... فهكذا يصلح خطاب الملوك والخلفاء على هذا الوجه من حسن

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ ص٢٩٩-٣٠٠المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت عام النشر:١٤٢٠ هـ

الأدب،"[١]

فخطاب الخاصة من الملوك والأمراء لا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون كخطاب العامة ، ولاسيما عند افتتاح الكلام يقول بهاء الدين السبكي: " ينبغى للمتكلّم أن يتأنّق فى ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصحّ معنى: أحدها :الابتداء"[٢] "لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام، فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان في غاية الحسن"[٣]

" وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء، فإنه أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، وتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه، ليتجنب ذكره، ويختار لأوقات المدح ما يناسبها. وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الأدب"[٤]

---

(١) ينظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٢ ص ١٦٥-١٦٦المؤلف: ١٦٦المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج٢ ص٣٤١

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج٤ ص ٧٠٥ المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

(٤) خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص٢١ المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) المحقق: عصام

فالمطلع "حقه الحسن والعذوبة لفظاً، والبراعة والجودة معنى؛ لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع، وزجه القلب ،ونبت عنه النفس، وجرى أوله على ما تقوله العامة (أول الدن دردي)

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام وغرره، بل هي – كما نعاها عليه العائبون – مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه، ولا يفتح القلب لها بابه[١]

ومنها البيت الذي أخذه ابن رشيق على المتنبي حيث قال: "ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئاً، وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ∴ وحسب المنايا أن يكن أمانيا[٢]

(من الطويل)

فالعيب من باب التأدب للملوك، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء، لا سيما وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي

شقيو ، الناشر: دار ومكتبة الهلال– بيروت، دار البحار– بيروت ، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ص ٦٦ المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: مكتبة الحسين التجارية – القاهرة .

(٢) ديوان المتنبي ج٤ ص ٢٨١ بشرح أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ) المسمى التبيان في شرح الديوان المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي الناشر: دار المعرفة – بيروت .

الطيب، وأشرف مآثر شعره إذا ذكر الشعر"[١]

قال المتنبي هذا البيت في مطلع قصيدة يمدح بها كافورا [٢] سنة ستة وأربعين وثلاث مئة[٣]

يقول : الداء الذي ليس بعده داء هو الذي يكون ليس له شفاء إلا الموت ، وإذا كان الموت أمنية للخلاص من الداء فهذا غاية الكرب والشدة. وهذا دليل على سوء النازلة التي نزلت به.

"وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة، التي تنفر منها السوقة، فضلا عن الملوك" [٤]

كما استخدم الشاعر من الألفاظ والأساليب ما يعكر مزاج المخاطب ؛

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج١ ص٢٢٢ المؤلف: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

(٢) كافور الإِخْشِيدي(٢٩٢ - ٣٥٧هـ = ٩٠٥ - ٩٦٨ م) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك. الأمير المشهور، صاحب المتنبي، كان عبدًا حبشيًّا اشتراه الإخشيدي ملك مصر) سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر (سنة ٣٥٥) وكان فطنًا ذكيًّا حسن السياسة. أخباره كثيرة. توسع صاحب النجوم الزاهرة في بيانها . وقال :إن مدة إمارته على مصر اثنتان وعشرون سنة، قام في أكثرها بتدبير المملكة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين ابني الإخشيد. وتولاها مستقلا سنتين، وأربعة أشهر. وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة .وقيل :حُمل تابوته إلى القدس فدفن فيها. وكان وزيره ابن الفرات . قال الذهبي : كان عجبا في العقل والشجاعة . الأعلام ج٥ ص٢١٦.

(٣) ينظر الديوان ج٤ ص ٢٨١.

(٤) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ص ٦٦.

مما زاد الطين بلة[1] كما يقولون ومن ذلك:

أنه خاطب كافورا بكاف الخطاب في قوله (كفى بك) ويقال إن الملوك والخلفاء والأكابر لا يخاطبون ب(كاف) الخطاب، ولكن هذه مغالاة لا أصل لها " لقد غلا بعض من يدعى البلاغة، وزعم أنه لا ينبغي مخاطبة الملوك والخلفاء والأكابر بكاف الخطاب، وهذا فاسد، فإن الله تعالى هو مالك الملك والمتعالي بصفات الكمال، قد خوطب بكاف الخطاب ... وقد جاء ذلك على ألسنة الفصحاء كثيرا ومنه قول النابغة:

وإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

...نعم إنما يكره ذلك فى المكاتبات، دون الأقوال، وإنما يؤتى فى الكتابة على جهة الغيبة في مخاطبة الملوك وأهل الرفعة لا غير" [2]

وتعبيره بالفعل المضارع (ترى) _وهو ما زال يخاطب كافورا_ ، و إضافة الرؤية إلى الموت قائلا (ترى الموت) فيه استحضار لرؤية الموت ، كما جعل هذه الرؤية متجددة وهذا فيه ما فيه من التنفير والتطير.

ولم يكتف الشاعر بذكر الموت بل ذكر معه الداء والمنايا كل هذا في بيت واحد ، ثم جاء بكلمة (شافيا) اسمًا، فجعل الموت شافيًا على جهة الثبوت والدوام، فلا شافٍ غيره ، مما يدل على عظم ما حل به من نوازل الدهر .

كما جاء بكلمة (المنايا) جمعًا ليوحي بأنه يتمنى الموت بأي طريقة ، فالمنايا على اختلاف طرقها وكثرتها أفضل عنده من الحياة .

---

(١) زاد الطِّينَ بِلَّةً : زاد الأمرَ سوءًا أو خطورةً. معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ص ٢٤٣المؤلف: د أحمد مختار عبدالحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

(٢) الطراز ج٢ ص ١٦٥-١٦٦

ثم أنه جعل المنايا أمنية فهو يتمنى الموت ولا يجده، مما يدل على شدة يأسه.

وفي استخدامه كلمة (كفى)[1] في بداية الشطر الأول ، وكلمة (حسبك)[2] في بداية الشطر الثاني ما يدل على اكتفائه بتمني الموت فهو مكتفٍ به ولا يطلب غيره.

فهذه الألفاظ التي عبر بها المتنبي إلى جانب كون هذا البيت مطلعًا لقصيدة ليس مناسبًا لرتبة المخاطب ولا لمقام المدح؛ فذكر الداء والموت والمنايا وأن تأتي هذه الأشياء على سبيل التمني هذا كله لا يتناسب مع الرتبة ولا المقام ولا الغرض.

" فضع هذا الكلام على أنه إنما شكا داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكياً نفسه، وجعلها أعظم الداء، لأنه أراد كفى بدائك داءً فغلط، وقال : كفى بك داءً. فصار : كفى بالسلامة داء. فالسلامة هي الداء، يريد : طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [3] فالله هو أعظم شهيد: فجعل المتنبي نفسه أعظم الداء، ولم يرد إلا استعظام دائه. وإصلاح هذا الفساد، وبلوغه إلى المراد، أن يقول:

كَفى بالمنايا أن تكن أمانيًا ... وحسبُك داءً أن ترى الموتَ شافيًا

فيعود الداء المستعظم كما أراد، وتزول خشونة ابتدائه، وشدة

---

(١) كَفَى يَكْفِي كِفايةً إذا قَامَ بالأَمر .وَيُقَالُ :اسْتَكْفَيْتُه أَمْراً فكَفانِيه .وَيُقَالُ :كَفاك هَذَا الأَمرُ أَي حَسْبُك . لسان العرب ج١٤ ص٢٢٥

(٢) حَسْبُ، فَمَعْنَاهَا الاكْتِفاءُ. وحَسْبُكَ دِرْهم أَي كَفاكَ، وَهُوَ اسْمٌ، وتَقُولُ :حَسْبُكَ ذَلِكَ أَي كفاكَ ذَلِكَ . لسان العرب ج١ ص٣١١

(٣) الأنبياء من الآية ٤٧

جفائه، إذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيمًا في أول كلمة سمعها منه.

وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثل هذا المكان، فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضاً بما يخشن ذكره : قلت للأبعد، ويا كذا أو كذا للأبعد."[١]

ولكن مع أن ابن رشيق وغيره من النقاد[٢] قد عابوا على المتنبي هذا المطلع إلا أنهم لم ينظروا إلى الحالة النفسية التي كان يمر بها المتنبي في ذلك الوقت ، فلقد كان الرجل مرغمًا على مدح كافور ؛ لتركه سيف الدولة، فكان نادما على ذلك، "أَن أول شعره فِي كافور دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة "[٣] إلى جانب أن كافورا هذا كان عبدا ؛ ولذا فإن المتنبي يرى نفسه أعلى منه ، وأفضل، فكان هذا الخطاب تعبيرا عن الحالة النفسية السيئة التي كان يمر بها شاعرنا.

إن حبّ النفوس للحياة قد يستحيل بغضا، لما يتكرّر عليها من

---

(١) مسائل الانتقاد ص١٢ المؤلف: محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٦٠هـ) بدون طبعة

(٢) كالثعالبي في كتابه المتنبي ما له وما عليه وسبق ذكر رايه في الصفحة السابقة، وابن شرف الجذامي القيرواني في كتابه مسائل الانتقاد.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ج٢ ص ٣٥٢المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الشدائد والآفات التي يتمنّى صاحبها الموت(١)

ومما أخذه ابن رشيق على المتنبي أيضًا أبياته في العتاب حيث قال: " وأما أبو الطيب المتنبي فكان في عتابه شدة، وكان كثير التحامل ، ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكـــم
أعيذها نظرات منك صادقـــــــة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنــوار والظلـــــم
....
....
وجاهل مده في جهله ضحكـــي حتـــى أتتـــه يـــد فراســـة وفم
إذا رأيت نيوب الليـــث بارزة فلا تظنن أن اللـــث يبتسم(٢)

يقول ابن رشيق " فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنـــه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة ، وإنما عرض بقـــوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلهـــا إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد ذلك أبياتًا:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لـــو أن أمـــركـــم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فمـــا لجـــــرح إذا أرضـــاكم ألـــم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إن المعارف في أهل النهى ذمم

---

(١) أمالي ابن الشجري ج١ ص١١٣ المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بـــن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـــ) المحقق: الدكتور محمود محمد الطنـــاحي الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـــ - ١٩٩١ م

(٢) الديوان ج٣ ص ٣٦٦

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتـــون والكـــرم؟ [١]
(من البسيط)

قال ابن رشيق :" ... وليس هذا عتابًا ، لكنه سباب، وبسبب هــذه القصيدة كاد يقتل من مجلس إنشادها ، وهذا الغرور بعينه"(٢)

المتنبي قال هذه الأبيات في قصيدة يعاتب بها سيف الدولة، وأنشدها في محفل من العرب، وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شــق عليــه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه في التعرض له في مجلسه بما لا يحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة، فقال هذه القصيدة يعاتبه.[٣]

ومن بدائع المتنبي كما قال عنه الثعالبي "مخاطبــة الممــدوح مــن الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق، مع الإحسان والإبداع وهو مذهب له تفرد به، واستكثر من سلوكه، اقتدارًا منه، وتبحرًا في الألفاظ والمعاني، ورفعًا لنفسه عن درجة الشعراء، وتدريجًا لها إلى مماثلة الملوك " [٤] ومن ذلك هذه القصيدة إلا أنه قال معلقا عليها" وهي – على براعتها، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها – تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب"[٥]

والغرض من هذه القصيدة – كما مر– العتاب ، والعتــاب ممــدوح ومطلوب وخاصة بين الأحبة ، وقد قال الثعالبي في باب مدح العتاب" قــال بعض البلغاء : العتاب حدائق المتحابين، وثمار الأوداء، والدليل على الضن بالإخوة . ويقال : ظاهر العتاب خير من باطن الحقد . ويقال : من لم يعاتب

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٧٠ ــ ٣٧١
(٢) العمدة ج٢ ص ١٦٤-١٦٥
(٣) ينظر الديوان ج٣ ص ٣٦٢
(٤) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ص ١١١
(٥) السابق ص ١١٢.

على الزّلة، فليس بحافظ للخلة."[١]

ومن الأمثال: " العِتَابَ قَبْلَ العِقَابِ

يقول :أصلح الفاسدَ ما أمكن بالعتاب، فإن تعذَّر وتعسَّر فبالعقاب"[٢]

"ومن أمثالهم : العتاب مفتاح الوصال، قاطع للهجر والملال. وإن أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة، وعتب يوجب العفو والصفاء، أفضل من ترك يعقب الجفا"[٣]

فالمتنبي لم يرد أن يترك سيف الدولة دون أن يعاتبه لأنه يعز عليه وهو باق على قربه ووداده لأن " ترك العتاب من دلائل الزهادة، ومن دواعي القطيعة"[٤] فالعتاب" نسيم الحياة، والعتب سموم الحياة، فأنا أعاملك

---

(١) اللطائف والظرائف ص١٥٤المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار المناهل، بيروت .

(٢) مجمع الأمثال ج٢ ص٣٢ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محى الدين عبد الحميد ـ الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

(٣) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ص١٠٤ المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عُني بنشره: محمد عطيه الكتبي الناشر: المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٨ هـ – ١٩٢٠ م.

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ٢٣٥ (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر) المؤلف: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب المحقق: د. حفني محمد شرف (أستاذ البلاغة، والنقد الأدبي المساعد – كلية دار العلوم، جامعة القاهرة) الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة ـ عام النشر: ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م

بالأول، لأنه من شيم الأحباب، والود باق ما بقي العتاب"[١]

إلا أن المتنبي قد أفرط في عتابه مما أساء لمن يعاتبه ، وخاصة أن المخاطب في رتبة لا تسمح بمثل هذا الخطاب ، فالمتنبي لم يراع ذلك، فكأنه يعاتب من هو أقل منه رتبة ومقامًا.

وهذه الأبيات يمكن تقسيمها إلى خمسة عناصر باعتبار المظاهر المعنوية والأسلوبية لعدم مراعاة رتبة المخاطب كالآتي:

أولا: شدة العتاب والقسوة فيه، ومن ذلك قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

يقول الشاعر مخاطبًا سيف الدولة_: أنت أعدل أهل الأرض وتتبع العدل مع كل الناس إلا معي؛ فالخصام متأصل فيك من ناحيتي ، وأنت خصم وحكم في نفس الوقت ، فهو يشكوه إلى نفسه.

" وهذه شكوي مفرطة ،...فإذا كان عادلًا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور. ووصف الممدوح بثلاثة أوصافٍ مختلفةٍ، فقوله : فيك الخصام؛ أي أنت الشيء الذي يختصم فيه. وأنت الخصم، وهو غير مختصمٍ فيه. وأنت الحكم، وليس الحكم بأحد الخصمين ولا بالشيء الذي وقع فيه الخصام"[٢]

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ص ١١٠(مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر) المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة.

(٢) ينظر اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي جـ ٣ ص ١١٥٩ ـ المؤلف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) المحقق: محمد سعيد المولوي الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

فهذا البيت فيه شدة وقسوة في العتاب والذي يدلل على ذلك المظاهر الأسلوبية في البيت ومنها:

النداء في أول البيت الذي استخدم فيه حرف النداء (يا) التي للبعيد وهذا يدل عل بعده المعنوي عنه بعدما كان قريبًا منه.

أيضًا الاستثناء الذي لا يتناسب مع مقام المخاطب في قوله (إلا في معاملتي) فنسب إليه الظلم والجور؛ لأنه ليس داخلا في عموم عدله.

استخدام حرف الجر (في) في قوله (فيك الخصام) ليدل على تعمق الخصام في نفسه فهو ليس شيئًا بسيطًا ممكن أن يزال ؛ بل هو متغلغل في أعماق نفسه، مستوطن فيها، كما أن قوله : (فيك الخصام) أسلوب قصر بتقديم الجار والمجرور (فيك) الذي هو خبر المبتدأ (الخصام) ليفيد التخصيص ، فالخصام في المخاطب وحده وليس في أحد غيره.

وأسلوب القصر أيضًا في قوله : (وأنت الخصم والحكم) فهو أسلوب قصر طريقه تعريف الطرفين ، فقد أفاد قصر الخصم عليه، واختصاصه به لا يفارقه إلى غيره ، فهو الخصم ولا خصم سواه، كما أنه الحكم الذي لا يجد حكمًا سواه ليشكوه إليه.

فقد جاء بأسلوبين من أساليب القصر في شطر واحد ، وأسلوب القصر فيه ما فيه من القوة والتأكيد ، وفيه لفت لنظر المخاطب إلى حكم هو غافل عنه، فكأنه يقول له : أنت الجاني علي ومع ذلك تنكر ذلك وتتغافل عنه . وهذا لا يناسب مرتبة المخاطب..

ثم هذا الطباق بين (الخصم والحكم) الذي يؤكد المعنى ويقويه، فقد اجتمع في المخاطب صفتين متناقضتين مما يؤدي إلى حيرة الشاعر وتخبطه فلا يدري ماذا يفعل.

وهذا الخطاب لا يليق أبدا بالملوك والأمراء، أن يصفه بالإنكار والغفلة ، فهذا خطاب غاية في الشدة والقسوة .

ثانيًا : تدرجه إلى السباب وذلك في قوله:

أعيذها نظرات منك صادقـــــــــة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

يقول : إني أحصن نظراتك الصادقة بـــالله وأرقيهـــا ، وإذا كانـــت نظرتك إلى الأمور صادقة ، فحاذر أن تخطئ النظرة وتظن الشحم(١) ورمًا(٢)

فقد تدرج من شدة العتاب وقسوته في البيت السابق إلى السباب في هذا البيت ؛ فهو يتهمه بسوء النظرة ، وسوء التقدير ، فهو لا يفرق بـــين الشحم والورم ، لا يفرق بين الصحة والمرض ، فهو لا يفرق بين من يحبه بصدق ، وبين من ينافقه، وأي سباب أفظع من ذلك ؟ وقد استخدم الشاعر الأساليب التي تعينه على ذلك ومنها:

أنه بدأ بيته بلفظة (أعيذها) يقال : عوذ :عَاذَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذاً وعِياذاً ومَعاذاً: لَاذَ بِهِ ولجأَ إِليه وَاعْتَصَمَ .... والعُوذةُ والمَعَاذَةُ والتَّعْوِيذُ :الرُّقيـــة يُرْقى بِهَا الإِنسان مِنْ فَزَعٍ أَو جُنُونٍ لأَنه يُعَاذُ بِهَا. وَقَدْ عَوَّذَه؛ يُقَالُ :عَوَّذْت فُلَانًا بِاللَّهِ وأَسمائه وبالمُعَوِّذتين إِذا قُلْتَ أُعيذك بِاللَّهِ وأَسْمائه مِنْ كُـــلِّ ذِي شَرٍّ وَكُلِّ دَاءٍ وَحَاسِدٍ وحَيْنٍ. " (٣) فهو يقول له بأنه يلجأ إلـــى الله ليحمـــي نظراته الصادقة من أن يصيبها ما يسلبها صدقها.

ونكر (نظرات) للتعظيم ، ووصفها بأنها (صادقة) ليقول له إنـــه عهد هذا الصدق في نظراته ، فما الذي غير تلك النظرات ؟

وفصل بين الموصوف (نظـــرات) والصـــفة (صـــادقة) بالجـــار

---

(١) الشَّحْمُ جَوْهَرُ السِّمَنِ، وَالْجَمْعُ شُحُوم، وَالْقِطْعَةُ مِنْـــهُ شَـــحْمَةٌ، وشَـــحُمَ الإِنســـانُ وغيرُهُ.... وشَحُمَ فَهُوَ شَحِيمٌ :صَارَ ذَا شَحْم فِي بَدَنِهِ..... رَجُلٌ شَحِيمٌ لَحِيمٌ أَي سَمِينٌ . ينظر لسان العرب ج١٢ ص٣١٩.

(٢) ورم : الوَرَمُ: أَخْذُ الأَورام النُّتوء وَالِانْتِفَاخُ . السابق ج١٢ ص٥٣٣.

(٣) ينظر لسان العرب ج٣ ص ١٩٨-١٩٩

والمجرور (منك) للتخصيص ، فهذه النظرات الصادقة من المخاطب نفسه لا من أحد غيره.

ثم هذا التشبيه الضمني في الشطر الثاني في قوله : (أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم) فهو يشبه من لا يميز بين الحقيقة والكذب بمن يرى الصحة والقوة مرضًا وتورمًا، فهو لم يصرح بذلك بل جعل ذلك ضمنيًّا يفهم من الكلام ، ويلمح لمحًا من المعنى ؛ ليوحي بمدى ظلم هذا الرجل الذي أخطأ في حقه ولم ينصفه.

ثالثا : كثرة التحامل على المخاطب وذلك في قوله:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

في هذا البيت يقول المتنبي : ما فائدة النظر إذا كان الإنسان لديه عينان ولكن لا يبصر بهما ، ولا يستطيع أن يميز بهما الفرق بين النور والظلمة.

ففي هذا البيت يتهم المتنبي سيف الدولة اتهامًا صريحًا بسوء النظرة أيضًا للمرة الثانية ، فبعد أن اتهمه بعدم التفريق بين الشحم والورم في البيت السابق ، اتهمه هنا بعدم التفريق بين النور والظلمة ، وبذلك زاد التحامل على مخاطبه ، ولم يراع رتبته، وقد استخدم الشاعر الأساليب البلاغية التي تدل على ذلك ومنها:

هذا الاستفهام الإنكاري الذي الغرض منه النفي في أول البيت الذي ينكر فيه على المخاطب عدم الانتفاع ببصره .

وفي قوله (أخي الدنيا) كناية عن الإنسان ، وهو يعني المخاطب بكلامه.

ثم استخدام (إذا) في بداية الشطر الثاني التي وليها الفعل الماضي (استوت) ليفيد تحقق الوقوع فاستواء النور والظلمة أمر محقق واقع ليس فيه شك . فهو لا يفرق بالفعل بين الحق والباطل وبين الحبيب والعدو،

وأيضا جاء بالطباق بين كلمتي (الأنوار والظلم) ليؤكد المعنى ويوضحه.

وجمع كلمتي (الأنوار، والظلم) يدل على تكرار ذلك فكلما رأى نورًا أو ظلمة لا يستطيع التفرقة بينهما، وهو يكني بذلك عن كون سيف الدولة لا يستطيع التمييز بينه وبين غيره ممن ليس في مكانة المتنبي، فهو النور الواضح الجلي وغيره الظلمة ، فلا مجال للخلط وعدم التمييز بينهما.

وقد قيل : " هذا البيت ممض لمن قيل فيه ؛ لأنه يقول له : لك ناظران لا تبصر بهما؛ فجعله وهو بصير كبعض العميان."[١]

رابعا : التكبر عليه وذلك في قوله :

وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

يقول المتنبي في هذين البيتين: رب رجل لا يعرفني ويجهلني رآني أضحك فتمادى في جهله ، ظنًّا منه أنني رجل مسالم ؛ حتى جاء الوقت الذي أدق فيه عنقه وأميته شر موته، فيكون هلاكه على يدي.

فإذا ظهرت لك أنياب الأسد واضحة أمامك ، فلا تسول لك نفسك أن الأسد يبتسم ؛ فالأسد لا يبتسم وإنما يكشر عن أنيابه ليفترسك.

فالناظر إلى البيتين يجد فيهما التكبر واضحًا فهو القوي الذي لا يؤمن شره ولمن يقول هذا الكلام ؟ يقوله لسيف الدولة وكأنه يهدده ، وهل يليق هذا في مخاطبة الأمراء؟ إنه لم يراع رتبة المخاطب ، فهو يتعالى عليه ، وقد استخدم من الألفاظ والأساليب ما يعينه على ذلك:

فبدأ بيته الأول بكلمة (جاهل) على تقدير(ورب جاهل) و "الجَهْل: نَقِيضُ العِلْم،...وَالْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ جَهِلْت الشَّيْءَ إذَا لَمْ تَعْرِفْهُ"(٢)،

---

(١) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي جـ ٣ ص ١١٦٠

(٢) لسان العرب ج١١ ص١٢٩ .

فوصفه بالجاهل فنزع عنه صفة العلم ، وذلك ليقول أنه لا يفعل ذلك سوى السفيه الجاهل بمكانة المتنبي ؛ إذ لوكان يعرف من هو المتنبي لما فعل ذلك.

ثم قال (مده) و"المَدُّ: الجَذْب والمَطْلُ. مَدَّه يَمُدُّه مَدّاً ومدَّ بِهِ فامتَدّ ومَدَّدَه فَتَمَدَّد، وتَمَدَّدناه بَيْنَنَا : مَدَدْناه. وَفُلَانٌ يُمادُّ فُلَانًا أَي يُماطِلُه ويُجاذِبه .والتَّمَدُّد :كَتَمَدُّدِ السِّقاء، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ تَبْقَى فِيهِ سَعَةُ المَدِّ .والمادَّةُ :الزِّيَادَةُ الْمُتَّصِلَةُ. ومَدَّه فِي غَيِّه أَي أَمهلَه وطَوَّلَ لَهُ"(١) وهذا يدل على طول بقائه على جهله . واتيان هذه الكلمة على صورة الفعل الماضي ما يدل عل تحقق وقوع هذه المهلة الطويلة . فقد أمهله مدة طويلة كافية بأن تجعله يغتر بجهله.

واستخدام حرف الجر(في) في قوله (في جهله) ما يدل على انغماسه في الجهل وتغلغله فيه ، فهو غارق في جهله ، كما أضاف كلمة (جهله) إلى ضمير الجاهل ولم يقل مثلا (مده في الجهل) ليبين أنه مصر على جهله الذي عرف به فهو جهل خاص معروف به .

ثم هذا التكرار لذكر الجهل يبين كم كان هذا الرجل جاهلا متماديًا في جهله ، وبين (جاهل وجهله) جناس اشتقاق أضفى على البيت إيقاعًا موسيقيًّا ، وزاد المعنى دقة ووضوحًا.

ثم قال (ضحكي) والضَّحِكُ :ظُهُورُ الثَّنَايَا مِنَ الْفَرَحِ (٢) فهو لم يقل مثلا : (إمهالي له ،أو سكوتي عنه) وإنما قال (ضحكي) ليوحي بأنه جعل هذا الجاهل يطمئن تمام الاطمئنان ؛ لأنه يشاهده يضحك فهذا دليل على الهدوء والراحة النفسية ، كأنه غير مكترث بما يفعله هذا الجاهل .

---

(١) السابق ج٣ ص٣٩٦ .

(٢) لسان العرب ج١٠ ص ١٥٩ .

ثم قال (حتى أتته) فعبر بـــ (حتى) التي تفيد انتهاء الغاية ؛ ليبين أن المدة التي منحها لهذا الجاهل قد انتهت ، وحان وقت الانتقام وأدخـــل (حتى) على الفعل الماضي (أتته) ليفيد تحقق وقوع الانتقـــام، والعصـــف بذلك الجاهل .

وفي قوله (يد فراسة وفم) في التعبير باليد مجـــاز عقلـــي علاقتـــه السببية حيث عبر باليد وأراد القدرة والبطش ، ووصف اليد بالفراسة ليدلل على شدة البطش بهذا الجاهل لأن "فَرَسَ الشيءَ فَرْسـاً : دقَـه وكَسَـرَهُ؛ وفَرَسَ السَّبُعُ الشيءَ يفرِسُـه فَرْسـاً . وافْتَـرَسَ الدَّابـة : أَخـذه فـدَقَّ عُنُقَه؛ وفَرَّسَ الغَنم : أَكثر فِيهَا مِنْ ذَلكَ . قَـالَ سِـيبَوَيْهِ : ظَـلَّ يُفَرِّسُـها ويُوَكِّلُها أَي يُكثِر ذَلكَ فِيهَا . وسَبُعٌ فَرَّاس : كَثِيرُ الِـافْتِرَاسِ "[1] فالكلمـة أوحت بالقوة والعنف الشديد الذي قابل به الشـاعر جهـل هـذا الجاهـل، وتماديه فيه.

وقال (وفم) أي فم فراس أيضًا فهذا الجاهل كما أنه لن يسلم مـن بطش يد الشاعر ، لن يسلم من لسانه الذي سينتابه بأقذع القول والهجـاء الذي سينال منه أيضًا .

وبين كلمتي (يد وفم) مراعاة نظير، وفيه توطئة للبيت التالي الذي يشبه فيه نفسه بالأسد ، فالأسد يكون افتراسه بيده التي يحكم بهـا مسـك فريسته، ويمزق بمخالبها جسدها ، وفمه الذي يلتهم به فريسته .

ثم يأتي البيت التالي لهذا البيت ليوضح مدى قوة الشاعر وقد جاء به مفصولا عن البيت الذي قبله لكمال الاتصال بين البيتين ؛ لأنه بمثابة التوكيد له، والذي بدأه (بإذا) التي دخلت على الفعل الماضي (رأيت) ليدل على تحقق الوقوع ،وآثر الشاعر التعبير بهذا الفعل لتحقيق القوة البصرية

---

(١) لسان العرب ج٦ ص ١٦١ .

في (رأيت) ، وفي قوله : (نيوب الليث بارزة) ما يجعل الرعب يتسلل إلى نفس هذا الجاهل الذي ظل مدة طويلة مطمئنًّا لهدوء الشاعر وضحكه. فنيوب الأسد تبرز أمامه واضحة يريد الفتك به. والتعبير بجمع الكثرة (نيوب) والتأكيد بالبروز في قوله (بارزة) كل هذه الكلمات تزيد من فظاعة الموقف وصعوبته ،وكذلك اختياره للفظ (الليث) من بين أسماء الأسد لأن " اللَّيثُ: الشِّدَّةُ والقوَّة.. .واللَّيث :الشُّجَاعُ بيِّن اللُّيُوثة"(١) فالكلمة تحمل معنى القوة والبطش.

وفي الشطر الأول تشبيه ضمني شبه الشاعر فيه نفسه بالأسد الذي كشر عن أنيابه استعدادًا للافتراس.

ثم قال (فلا تظنن) في التعبير بـــ(الظن) دلالة عما يدور داخلـــه من هواجس وأفكار، ثم تأكيد الفعل بنون التوكيد ، ليؤكد نهيه عن تصديق المظاهر الخادعة ، وعبر بالمظهر في موضع المضمر فـــي قولـــه : (أن الليث يبتسم)؛ لأن المقام للضمير فكان الواجب أن يقـــال: (أنـــه يبتســـم) ليؤكد على تشبهه بالليث فيبث الرعب والهلع فـــي نفـــس الســـامع الـــذي سيتخيل ما يناله من الفتك على يد ذلك الليث.

كل هذه الأساليب التي أتى بها الشاعر في البيتين تؤكد قوته وفخره بنفسه وتعاليه على مخاطبه ، حتى وإن كان لا يقصده بكلامه ، فهو لا يرى مخاطبه ولا رتبته ، بل يرى نفسه فقط فأخذ يستعرض قوتـــه وشـــجاعته وفتكه بخصمه بشجاعة وإقدام دون النظر إلى أحد، فالجميع لا يعنيه.

خامسا: الغرور بالنفس في ذاته وذلك في قوله:

يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لـــو أن أمـــركـــم من أمرنا أمم

---

(١) السابق ج٢ ص ١٨٨

إن كان سركم ما قال حاسدنا فمـــا لجـــرح إذا أرضـاكـم ألـم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتـــون والكـــرم؟

يقول المتنبي في البيت الأول: يا من يصعب علينا أن نبتعد عنـــه ، فكل ما نملك بعدكم وكل ما يأتينا من العطايا هباء كأنه لا وجود له .

الشاعر بدأ بيته بالنداء الذي الغرض منه الاستعطاف ، ليســتعطف سيف الدولة ويرقق قلبه عليه ، واستخدم الفعــل المضــارع (يعــز) أي يصعب ويشق ليفيد التجدد والاستمرار ، فهذه الصــعوبة وتلــك المشــقة متجددتان في حالة البعد، وقال (علينا) ليوحي بثقل البعد على نفسه.

ومع أنه بدأ بيته بالنداء الذي الغرض منه الاستعطاف ، وجاء بعده بما يوحي بثقل البعد ومشقته وصعوبته على نفسه ، إلا أنه قال بعد ذلــك (أن نفارقهم) فجعل نفسه هو الذي يفارق ، وهو بهــذا لــم يــراع رتبــة المخاطب ؛ لأنه بذلك يفضل نفسه على المخاطب، فهو الذي سيتركه ويرحل عنه.

وفي الشطر الثاني (وجداننا كل شيء بعدكم عدم) تشبيه بليغ شبه فيه الوجدان بالعدم ، وبين الوجدان والعدم طباق ، وذلــك ليؤكــد ويقــرر حقيقة أن الوجود أصبح هو العدم بعينه بفراق سيف الدولــة، ومــع ذلــك سيفارق ؛ لأنه لا يقبل المعاملة التي لا تليق به .

ويستمر الشاعر في التعالي على المخاطب والغرور بذاتــه واضــعًا سيف الدولة في مقام الندية معه قائلا في البيت التالي بهذه النبرة الحــادة مستخدمًا ضمير الجمع في الحديث عن نفسه: الأجدر والأولى أن أنال منكم الكرم والنوال والمعاملة الحسنة ، وهذا إذا كان رأيكم فينا مثل رأينا فيكم .

بدأ بيته بقوله (ما كان أخلقنا منكم بتكرمة) فهذا يوحي أن الكــرم والتقوى بعيدة كل البعد عن سيف الدولة ، فالشاعر لم ينل منه ولو تكرمة

قليلة وهذ ما أوحى به تنكير كلمة (تكرمة) ، وقوله (ما كان أخلقنا...) يوحي بمدى غرور الشاعر ، فهو الأحق بالتكرمة ، ويستحقها عن جدارة.

وقال (منكم) ليبين أن الأولى والأجدر أن تأتي التكرمة من المخاطب نفسه دون غيره؛ لأن الشاعر كان يقدره ويجله أكثر من أي أحد، كأنه يمن عليه بذلك.

واستخدم في الشطر الثاني أسلوب الشرط بـ (لو) في قوله: (لو أن أمركم من أمرنا أمم) ليبين أن المخاطب لم يكن له الحب ولم يبادله الثقة ، فهو بعيد عنه كل البعد، والثقة مستبعدة تمامًا أو ليس لها وجود أصلا ، فهو لم يظن خيرًا بالشاعر كما كان يظن الشاعر به ، وهذا ما أوحى به أسلوب الشرط بـ (لو) .

وفي البيت التالي يستمر الشاعر بإلصاق المعايب بالمخاطب ومخاطبته بما لا يليق فيقول: إن كان يثلج صدوركم ويقر أعينكم ما قاله عني الحاسد ، فأنا على أتم الاستعداد تقبل أي ألم يحدثه جرحي ما دام ذلك يسعدكم ويرضيكم .

وقد استعان الشاعر بالألفاظ والأساليب التي تعينه على تحقيق غرضه ومنها:

أنه بدأ بيته بقوله : (إن كان سركم) باستخدام الشرط المكون من (إن)، و(كان) و(الفعل الماضي) ليوحى بتحقق وقوع ذلك .

وعبر بـ (سركم) ليوحي بمدى فرحة المخاطب وطيب خاطره بما قيل ، حيث قال: (سركم) ولم يقل (يفرحكم) ؛ لأن "السرُور لَا يكون إِلَّا بِمَا هُوَ نفع أَو لَذَّة على الْحَقِيقَة وَقد يكون الْفَرح بِمَا لَيْسَ بنفع وَلَا لَذَّة كفرح الصَّبِي بالرقص والعدو والسباحة وَغير ذَلِك مِمَّا يتعبه ويؤذيه وَلَا يُسمى ذَلِك سُرُورًا أَلا ترى أَنَّك تَقول الصّبيان يفرحون بالسباحة والرقص وَلَا تَقول يسرون بذلك ونقيض السرُور الْحزن وَمَعْلُوم أَن الْحزن يكون

بالمرازىء فَيَنْبَغِي أَن يكون السرُور بالفوائد وَمَا يجْرِي مجْرَاهَا من الملاذ ونقيض الْفَرح الْغم وَقد يغتم الْإِنْسَان بِضَرَر يتوهمه من غير أَن يكون لَــهُ حَقِيقَة وكَذَلِكَ يفرح بِمَا لَا حَقِيقَة لَهُ ".[1] فهو لم يفرح فقط بل انتفع واستلذ وطاب خاطره بما قيل.

ثم قال (ما قال) بالتعبير بالاسم الموصول لتعظيم شأن هذا الكــلام الذي قيل عنه ، وليذهب الذهن كل مذهب في تخيل هذا الكلام الــذي قالــه الحاسد، والذي جعل المخاطب يسر بقول ذلك الحاسد حتى أنه لم يتحقق من صحة الكلام وكأنه كان ينتظره ليسر به.

وعبر بالفعل الماضي (قال) ليفيد تحقق وقوع هذا القول ، وعبر بلفــظ (حاسدنا) ليوحي بأن هذا الكلام كان مجرد قول قاله حاسد للشاعر يكرهه ويتمنى زوال نعمته ، والمخاطب يعلم ذلك ومع ذلك صدقه بل وسر به.

ثم جاء في الشطر الثاني بهذا التشبيه الضــمني (فمــا لجــرح إذا أرضاكم ألم) حيث شبه كلام الحاسد وسرور المخاطب بــه بــالجرح الــذي أصاب الشاعر فسر به المخاطب ورضي له الألم . وشبه هذا الكلام بالجرح ليوحي بمدى تأثره بهذا الكلام ؛ لأن "الجَرْح: الفعلُ: جَرَحه يَجْرَحُه جَرْحــاً: أَثَّرَ فِيهِ بِالسِّلَاحِ... والجِراحَة :اسْمُ الضَّرْبَةِ أَو الطَّعْنَةِ" [2]، فهذا الكلام كأنه طعنة بسلاح قوي أصابت الشاعر، ومع ذلك هو لن يتألم إرضاء للمخاطب.

ويستمر الشاعر في غروره ، ومخاطبته لسيف الدولة بما لا يليــق في خطاب مثله ؛ فيقول في البيت التالي: بيني وبينكم معارف كثيــرة لــم

---

(١) الفروق اللغوية ج١ ص٢٦٥-٢٦٦المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلــق عليــه: محمد إبراهيم سليم ــ الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٢) لسان العرب ج٢ ص١٢٢

تراعوها ، وهذه المعارف لم يرعها ويقدرها إلا أهل العقول النابهة التي تقدر تلك المعارف التي هي بمثابة العهود.

وقد استخدم الشاعر في البيت الأساليب القوية التي تساعده على إيصال غرضه للمخاطب ومن ذلك:

بدأ بيته بأسلوب القصر بطريق التقديم حيث قال: (وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة) فقدم (بيننا) للتخصيص والقصر ليقول: إن هذه المعارف بيننا أنا وأنت خاصة بنا؛ بسبب ما بيننا من الود والثقة.

وقد أتي بالجملة الشرطية (لو رعيتم ذاك) معترضة بين الخبر والمبتدأ، والتي استخدم فيها أداة الشرط (لو) ؛ ليقول: إن مراعاة المعرفة من المخاطب مستبعدة أو غير موجودة أصلا.

وأتى بكلمة (معرفة) نكرة للتعظيم ؛ فهي معرفة عظيمة متأصلة لا تنكر بأي حال من الأحوال ، ومع ذلك أنت أنكرتها ولم ترعها حق رعايتها.

وجاء في الشطر الثاني بجملة للتذييل[1] حيث قال: (إن المعارف في أهل النهى ذمم) وهي تشبه المثل ؛ ليؤكد كلامه ويوضحه، فالمعارف يقدرها أهل العقول النابهة ؛ لأنها بمثابة العهود عندهم ، وقد أكد هذه الجملة ب(إن) و(إسمية الجملة) ليزيد كلامه تأكيدًا فوق تأكيد بما لا يدع مجالا للشك فيه أو الإنكار.

و قدم الجار والمجرور (في أهل النهى) على الخبر ؛ ليخص أهل النهى بصيانة العهود وتقدير المعارف، ونكر كلمة (ذمم) لتعظيم شأن

---

(١) التذييل: وهو تفعيل من قولهم ذيّل كلامه إذا عقّبه بكلام بعد كمال غرضه منه، فأما معناه في اصطلاح علماء البلاغة فهو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه فهذان وجهان. ينظر الطراز ج٣ ص٦١-٦٢

العهود ؛ فهي ذمم عظيمة لمن يدرك ذلك.

وكأن هذه الجملة (إن المعارف في أهل النهى ذمم) جاء بها للتعريض بالمخاطب، فهو إن لم يقدر المعارف ويرعى العهود ؛ فقد خرج من أهل النهى، وهذا سباب واضح ، ولمن ؟ لسيف الدولة.

فالبيت فيه الكثير من الأساليب القوية كالقصر بالتقديم، وأسلوب الشرط بلو ، والاعتراض ، والتذييل ، كل ذلك أكسب الكلام قوة ، وساعد الشاعر على إيصال مراده للمخاطب في جو من الغرور والتعالي ؛ وهو بذلك لم يراع رتبة المخاطب بأي حال من الأحوال.

وفي البيت التالي يقول الشاعر : إن سيف الدولة كثيرًا ما يطلب له الأخطاء التي تعيبه وتنقصه ؛ ومع ذلك لا يستطيع أن يجد واحدًا ، وهذا الفعل الذي يأتي به سيف الدولة – وهو طلب المعايب للشاعر– يكرهه الله ويأباه الكرم.

في قوله (كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزكم) بدأ بـ (كم) التي تدل عل التكثير ليقول إن سيف الدولة كثيرا ما يطلب المعايب للشاعر، وهذا يوحي بأن سيف الدولة ينتظر له الخطأ بل يطلبه ويسعى جاهدًا لإيقاعه به.

واستخدم الفعل المضارع (تطلبون) ليوحي بتجدد ذلك الفعل واستمراره؛ فهو يصر على طلب المعايب ويطلبها مرة بعد مرة ، فلا يثنيه شيء عن ذلك.

وقدم الجار والمجرور (لنا) على المفعول (عيبًا) للتخصيص فسيف الدولة لا يطلب المعايب إلا للشاعر.

وعبر بكلمة العيب ولم يقل مثلا (كم تطلبون لنا خطأ أو منقصة) ؛ لأن العيب معناه الوصم[1] . والوَصْمُ : الْعَيْبُ فِي الحَسَب... و الْعَيْبُ فِي الْكَلَامِ...

---

(١) عيب: العَابُ والعَيْبُ والعَيْبَةُ: الوَصْمة ينظر لسان العرب.ج١ ص٥٣٣ .

وَالْعَارُ[1] فالمخاطب يبحث عن أي شيء يشين الممدوح سواء أكان الشين حسبًا أو كلامًا أو عارًا ، فلا يجد أيا من ذلك؛ لسلامة الشاعر من كل ذلك .

ونكر (عيبًا) للتقليل والتحقير ، وكأن سيف الدولة يبحث للشاعر عن أي عيب ، حتى عيبًا واحدًا صغيرًا فلا يجد.

ثم عبر بالفاء في قوله (فيعجزكم) ليفيد سرعة حصول ذلك العجز، فبمجرد طلب العيب يحصل العجز من غير مهلة ، وهذا دليل على سلامة الشاعر من العيوب .

وقال (يعجزكم) ولم يقل مثلا (لا تجدوا) لأنه يُقَالُ :عَجَزَ يَعْجِزُ عَنِ الأَمر إِذا قَصَرَ عَنْهُ. [2] فهذا الوصف يوحي بمدى إخفاق سيف الدولة، كما يوحي بمدى بعد الشاعر عن المعايب ، فمن يطلب له ولو عيبًا واحدًا يصيبه العي والإخفاق ، ويعود بالخيبة والحسرة .

وفي الشطر الثاني في قوله: (ويكره الله ما تأتون والكرم) أضاف الكره إلى (لفظ الجلالة) ليبين مدى بشاعة هذا الفعل ، فهو لا يكرهه الشاعر فقط ، أو حتى الناس ؛ بل يكرهه الله تعالى ولا يرضى عنه ، وفيه ترهيب للمخاطب حتى يرتدع إذا علم أن الله تعالى يكره فعله.

ثم عبر بالاسم الموصول (ما) في قوله (ما تأتون) للتهويل والتفخيم؛ فما يأتون به أمرًا عظيمًا لا يحيط بكنهه الوصف ، وليذهب الذهن كل مذهب في تخيل ما يأتون به وما فيه من بشاعة لا تصفها الكلمات .

ثم عطف كلمة (والكرم) على لفظ الجلالة ، أي والكرم يكره ذلك أيضًا ؛ لأن الكرم يستوجب منه العطاء والزيادة لا الحرمان والانتقاص، فهو لا يحرمه جوده وسخاءه فقط ؛ بل يحاول أن ينتقصه أيضًا بطلب

---

(١) ينظر لسان العرب ج١٢ ص ٥٣٩ .

(٢) السابق ج٥ ص ٣٧٠ .

المعايب له ، وهذا لا يرضى عنه أحد ؛ بل يكرهه الله والكرم أيضًا.

فبالنظر إلى هذا البيت والأبيات قبله نلحظ مدى جبروت الشاعر في تعاليه وغروره على مخاطبه الذي هو ليس بالمخاطب العادي بل هو الأمير سيف الدولة ، لقد نسي الشاعر ذلك أو تنساه ، وأخذ يصول ويجول بكلماته وأساليبه التي هي بمثابة الطعنات التي يوجهها إلى مخاطبه ، فقد أخذ يتدرج من العتاب إلى التحامل على المخاطب حتى وصل إلى درجة السباب وإلصاق المعايب بمخاطبه دون مراعاة لشخصه أو لرتبته.

وقد قيل عن هذه القصيدة "وهي – على براعتها، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها – تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب "[١]

وصدق ابن رشيق حين قال عنه في مقدمة هذه الأبيات التي يعاتب بها سيف الدولة : " وأما أبو الطيب المتنبي فكان في عتابه شدة، وكان كثير التحامل ، ظاهر الكبر والأنفة"[٢]

ومما لم يراع فيه المتنبي رتبة المخاطب ما قال عنه ابن رشيق" وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة:

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد[٣]

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في صفين وأنه جعله أنياب الخلافة بقوله:

أولئك أنياب الخلافة كلها ... وسائر أملاك البلاد الزوائد[٤]

---

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ص١١٢ .

(٢) العمدة ج٢ ص ١٦٤ .

(٣) الديوان ج١ ص٢٧٧ .

(٤) الديوان ج١ ص ٢٧٩ .

وهم سبعة بالممدوح، والأنياب في المتعارف أربعة، إلا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية، اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة؛ فإنه يصح، وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى أن بلغ راشداً، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه، وإنما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد، وهي أربعة أسماء.(١)

" أبو الهيجاء : والد سيف الدولة، والذين ذكرهم بعده، أجداده على نسق، فيقول لسيف الدولة :أنت أبو الهيجاء أبوك، في كرمه وبأسه، وجلالته وفضله، تشابه منكما مولود ووالده، وابن ومنسله.

ثم قال : وكذلك حمدان جدك، حمدون أبوه، وحارث لقمان أبوه، ولقمان راشد أبوه، كل آبائك يتشابهون في مجدهم، ويتماثلون في فضلهم، ويتلو في الكرم آخرهم أولهم، ويحكي في البأس والفضل خلفهم سلفهم.

ثم قال : أولئك كلهم أنياب الخلافة، وأركان المملكة، وزعماء الدولة، وسائر أملاك البلاد، الزائد بالإضافة إليهم، المتأخرون إذا قرنوا بهم".(٢)

ومع أن ابن رشيق عاب على المتنبي التكرار إلا أن ابن سنان قال عنه: " فليس هذا التكرار عندي قبيحاً ؛ لأن المعنى المقصود لا يتم إلا به. وقد اتفق له أن ذكر أجداد الممدوح على نسق واحد من غير حشو ولا تكلف ؛ لأن أبا الهيجاء هو عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن

---

(١) العمدة ج٢ص٨٤ .

(٢) شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول ج١ ص٣٨٨المؤلف: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفليلي (المتوفى: ٤٤١هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

لقمان بن راشد. ولو ورد هذا الكلام نثراً لم يزد على هـذه الصـفة فلمـا عرض في هذا التكرار معنى لا يتم إلا به سهل الأمر فيـه وكـان البيـت مرضياً غير مكروه.

وعلى ذلك يجب أن يحمل كل تكرار يجرى هذا المجرى.(١)

"فكأنه علم الشعراء أن شبه الابن بالأب مما يمدح بـه ويـراد بـه صحة النسب وطيب المولد ".(٢)

فالمتنبي جاء في هذا البيت بلون من البلاغة يسمى الاطراد" وهـو أن تأتى بأسماء الممدوح أو غيره وأسماء آبائه، على ترتيب الولادة، مـن غير تكلّف"(٣)

وهذا ما فعله المتنبي في هذا البيت أنه أتى بأسماء الممدوح وآبائه على الترتيب ، ليقول إنهم كلهم متشابهون في الفضل ، وهذا دليل على قوة الأصل ، وصحة النسب، كما مر، وليس فيه تكلف ولا تعسف ولا تقصـير نستشعر منه عدم التناسب في الرتبة كما ذكر ابن رشيق.

" هذا المعنى من أحسن معاني هذه القصيدة والبيتـان مـن خيـار أبياتها وما لأحد من الشعراء قصيدة على هذا الوزن إلا وهذه أحسن منهـا

---

(١) سر الفصاحة ص ١٠٢-١٠٣ المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ــ الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م .

(٢) الفتح على أبي الفتح ص ١٠٣ -١٠٤ المؤلف: محمد بن حَمَد بن محمد بن عبـد الله بن محمود بن فُورَّجَة البروجردي (المتوفى: نحو ٤٥٥هـ) المحقق: عبـد الكـريم الدجيلي الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق الطبعة: الثانيـة، ١٩٨٧ م .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج٢ ص ٣٨٠ .

وأجود فليعلم ذلك"[١]

المطلب الثاني : عدم مراعاة رتبة المتكلم

كما يجب على المتكلم مراعاة رتبة المخاطب، عليه أيضا مراعاة رتبته أثناء الكلام

" ومن حق الملك، إذا دخل عليه رجل، وكان اسم ذلك الرجل الداخل أحد صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يكني عنه، ويجيب باسم أبيه؛ كما فعل سعيد بن مرة الكندي، حين أتى معاوية، فقال له : أنت سعيد؟ فقال :أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة! وكما قال السيد بن أنس الأزدي، وقد سأله المأمون عن اسمه، فقال : أنت السيد؟ قال : أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس.!

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصنو أبيه . قيل له : أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال : هو أكبر مني، وولدت أنا قبله."[٢]

فالمتكلم يجب ألا يتعالى بكلامه على مخاطبه وخاصة إذا كان من ذوي الرتب الرفيعة ، ولكن المتنبي لم يفعل ذلك في شعره ، فهو عادة يترفع على الجميع ، ودائمًا يعكس في كلامه فيأتي بضمير العظمة لنفسه ، وبضمير المخاطب لغيره ، ويصف نفسه بصفات فوق صفات المخاطب،

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص١٩٤المؤلف: دكتور إحسان عباس (المتوفى: ١٤٢٤هـ) الطبعة الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان

(٢) التاج في أخلاق الملوك ص ٨٧ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: أحمد زكي باشا ــ الناشر: المطبعة الأميرية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م

وعندما يمتدح نفسه يأتي بالأبيات المتتابعة في الفخر بنفسه، ولا يخلطها بغيره.

ومن ذلك قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملئ جفوني عن شواردها ويسهر الناس جراها ويختصم[1]
(من البسيط)

يقول الشاعر : إن أدبه وشعره من الذيوع والشهرة بمكان فلا يجهلهما أحد ولا يخفيان على أحد ، حتى أن الأعمى يرى أدبه ، والأصم يسمع شعره ، وهو يقول الشعر الذي تفرد به وتمكن فيه ، ثم ينام قرير العين لا يصعب عليه شيء ، بينما يسهر الناس جميعًا يتدارسون كلامه ويتجادلون في معناه.

المتنبي كعادته يحيط نفسه بسياج من العظمة ، تكاد تتفجر أبياته بمعاني الفخر بل الغرور بذاته والتكبر، غير مراعٍ رتبته كمتكلم ، فعجبه بنفسه، وتيهه بذاته يجعله يستفيض في وصف نفسه غير مبالٍ بغيره ، أو في حضرة من يجلس أو يقول، فنجده يبدأ بيته بضمير المتكلم (أنا) وهذا وحده فيه ما فيه من الغرور والتكبر، ثم أتى بالاسم الموصول (الذي) فلم يكتف بتعريف نفسه بالضمير وهو أعرف المعارف وإنما ثنى بالاسم الموصول ليوحي بمدى شهرته التي لا تخفى على أحد ، فلا يجهل أحد من يكون، وعبر بالفعلين الماضيين (نظر وأسمعت) ليفيد تحقق النظر والسمع ، ووقوعهما ممن لا يبصر وممن لا يسمع، فنظر الأعمى وسمع الأصم وكأن أدبه وكلماته تتعدى حدود المعقول إلى اللامعقول فهو الخارق للطبيعة لا يوقفه شيء ، لله درك أيها الرجل.

---

(١) الديوان ج٣ ص ٣٦٦

وفي التعبير بالكلمات في قوله : (كلماتي) مجاز عقلي علاقته الجزئية حيث عبر بالجزء (الكلمات) وأراد الكل (القصائد) . وربما يكون الكلام على حقيقته على سبيل المبالغة فأي كلمة يقولها يعرفها القاصي والداني ويسمعها حتى الأصم ، وهذا دليل على مدى تأثير كلماته . وهذا أنسب بحال المتنبي وشدة فخره بنفسه وبكلامه...

وعرف (الأعمى والأصم) بـــ (أل) ليفيد الحقيقة والجنس فالأعمى الذي تحقق فيه العمى الحقيقي نظر ، والأصم الذي تحقق فيه الصمم الحقيقي سمع.

ولا يخفى الطباق بين (نظر والأعمى) وبين (أسمعت وصمم) ليؤكد المعنى ويبرزه واضحًا.

وإضافة (أدبي وكلماتي) إلى ياء المتكلم دليل على اعتزازه بأدبه وشعره وتفرده بهما، فليس من الذيوع والشهرة سوى أدبه هو وكلماته هو.

والبيت كله كناية عن شهرة أدبه وتأثير كلماته . فقد قدم المعنى مصحوبًا بالدليل مما وثق كلامه وأكده.

وأتى بالبيت التالي لهذا البيت مفصولا عما قبله ؛ لأنه بمثابة التأكيد والتقرير له ، فهو يفيد تمكنه من أدبه وشعره فهو يقول في البيت التالي إنه متمكن من أدبه وشعره فهو يقول ما يقول بما فيه من صعوبة ومعانٍ بعيدة ، ثم ينام نومًا عميقًا لا ينشغل بهذا القول ، ولا يهتم به ، بينما يظل الناس جميعهم متيقظين لا يغمض لهم جفن يتدارسون أدبه وشعره يحاولون فهمه ، ويتجادلون في معانيه العميقة.

وقد استخدم الشاعر من الألفاظ والأساليب ما يدل على غروره وتعاليه وعدم مراعاة رتبته كمتكلم، ومن ذلك :

قوله في بداية بيته : (أنام) هذه الكلمة تدل على الراحة النفسية

والسكون وعدم الاكتراث بأي شيء، فضلا عن كونها جاءت بصورة الفعل المضارع مما يدل على تجدد النوم وتكراره فهو على هذه الحالة من الهدوء والسكون دائمًا، ولم يكتف بذلك بل قال : (ملء جفوني) وهذا دليل على النوم العميق الذي لا يشوبه هم ولا فكر، يقال:" نام ملءَ جَفْنَيه : نام ملءَ عينيه، إذا كان خاليًا من الهمّ"[١]، كما أن في قوله : (ملء جفوني) إيغال[٢] جاء به للمبالغة في وصف نومه العميق الذي لا يعكر صفوه هم.

وقال : عن(شواردها) الهاء عائدة إلى كلماته في البيت السابق ، وكلمة (شوارد) بمعنى نوافر يقال :" شَرَدَ البعيرُ وَالدَّابَّةُ يَشْرُدُ شَرْداً وشِراداً وشُروداً: نَفَرَ، فَهُوَ شارِدٌ، وَالْجَمْعُ شَرَدٌ. وشَرُودٌ فِي الْمُذَكَّرِ والمؤَنث... وَفَرَسٌ شَرُود : وَهُوَ المُسْتَعْصي عَلَى صَاحِبِهِ . وقافِيَةٌ شَرُودٌ : عائِرَةٌ سائِرَةٌ فِي الْبِلَادِ تَشْرُدُ كَمَا يَشْرُدُ الْبَعِيرُ"[٣] فهذه الكلمة تدل على عمق معانيه، وأنه يأتي بالغريب في أشعاره الذي يستعصي فهمه ، ولا يتوصل إلي إدراك معناه معظم الناس ، أما هو فهذا سهل عليه لا يأبه به، ولا يشغل تفكيره.

وعبر بكلمة (يسهر) ؛ لأن "السَّهَرُ: الأَرَقُ. وَقَدْ سَهِرَ، بِالْكَسْرِ،

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ ص٣٨٠المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) الإيغال فى أصل اللغة هو سرعة السير، ويستعمل فى المبالغة فى الشىء، يقال فلان يوغل فى نظره وفى قراءته أى يبالغ فيهما وهو فى مصطلح علماء البيان عبارة عن الإتيان فى مقطع البيت وعجزه أو فى الفقرة الواحدة بنعت لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة فيه . الطراز ج٣ ص٧١ .

(٣) ينظر لسان العرب ج٣ ص ٢٣٦ .

يَسْهَرُ سَهَراً، فَهُوَ ساهِرٌ : لَمْ يَنَمْ ليلًا؛ وهو سَهْرَانُ "[١] فهذا دليل على مدى صعوبة معانيه ، وعلى شدة اهتمام من يسمع كلماته ، وانشغاله بها ، فهي تؤرق كل من يسمعها وتمنعه من الراحة ؛ لأنه لا يتوصل إلى فهمها بسهولة . فضلا عن مجيء هذه اللفظة بصيغة الفعل المضارع مما يدل على تجدد السهر ، فمن يسمع كلماته يظل على حالة الأرق ، وعدم الراحة، أيامًا عديدة يحاول فهمها ، فهي تحرمه لذة النوم لفترات طويلة، وأيام عديدة .

والتعبير بكلمة (الخلق) ما يدل على شمول ذلك لكل الناس فالجميع يسهر ، فالكل متساوون في عدم فهم كلماته التي تستعصي على الجميع . بل ربما تعدى البشر إلى غيرهم من المخلوقات ممن يتأتى منهم الفهم للكلام كالجن أو الملائكة... ولذا اختار الخلق ولم يقل الناس أو البشر... وهذا أنسب بحال المتنبي وشدة فخره بذاته وبشعره...

ثم قال (جراها) أي: لأجلها يقال:" فعلتُ ذَلِكَ مِنْ جَرِيرتَكِ وَمِنْ جَرَّاك وَمِنْ جَرَّائك أَي من أَجلك"[٢] فسهر الجميع يكون بسبب تلك الكلمات التي قالها الشاعر، وليس بسبب أي شيء آخر. وليس ذلك فقط بل قال أيضًا (ويختصم) أي يتجادلون في معناها، ويختلفون بسببها ؛ لأن "الخُصومَةُ: الجَدَلُ . خاصَمَه خِصاماً ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْماً : غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ"[٣] فكل واحد من هؤلاء الخلق يحاول أن يقيم الحجة على خصمه بأن كلامه هو الصحيح وأنه هو الذي فاز بمعرفة مقصد الشاعر.

والبيت كله كنايه عن تمكنه من شعره ، فهذه الكناية وضحت كم هو

---

(١) السابق ج٢ ص ٣٨٣ .

(٢) لسان العرب ج٤ ص١٢٩ .

(٣) السابق ج١٢ ص١٨٠.

متمكن في شعره يأتي فيه بالغريب ، مما يؤرق الناس ويجعلهم في خلاف دائم لمعرفة معناه .

فالبيتان يكتظان بمعاني الغرور والإعجاب بالنفس ، ولا غرو في ذلك فالرجل يشعر بذاته ويقدر نفسه وشعره ، ويعرف مدى تأثير ما يقول ، وأنه المتفرد فيه ، فلا يستطيع أحد مهما بلغ بيانه أن يحاكيه ، أو حتى يقترب من منطقته في البلاغة والبيان، وهذا واضح في دقة اختياره لألفاظه وأساليبه.

وقوله أيضا :

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم
أرى النوى يقتضيني كل مرحلة لا يستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركت ضميرا في ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم[1]
(من البسيط)

في هذه الأبيات يستمر الشاعر في الفخر بنفسه، وفي إسباغ صفات العظمة على ذاته فيقول في البيت الأول: أنا بعيد كل البعد عن أي وصمة تنتقص من شرفي، أو أي شيء يقلل من شأني، بعيد بعد النجوم عن الشيب والكبر.

وقد استعان الشاعر بالألفاظ والأساليب التي تعينه على ذلك ؛ فبدأ بيته بأسلوب التعجب (ما أبعد العيب ...) فهو يتعجب ممن يحاولون إلصاق العيب والعار به ، كيف يفعلون ذلك وهو البعيد عن ذلك كل البعد.

وعبر بكلمة العيب ؛ لأن العيب معناه الوصمة (٢) .والوَصْمُ :الْعَيْبُ

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٢) عيب: العَابُ والعَيْبُ والعَيْبَةُ: الوَصْمة . ينظر لسان العرب.ج١ ص٥٣٣ .

فِي الحَسَب...و الْعَيْبُ فِي الْكَلَامِ... وَالْعَارُ(١) فأراد أن يقول أنه بعيد عن كل ذلك .

وعطف (النقصان) على العيب ؛ لأن " النَّقْصُ: الخُسْران فِي الحظِّ، والنقصانُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَيَكُونُ قَدْرَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ مِنَ الْمَنْقُوص. نَقَصَ الشيءُ يَنْقُصُ نَقْصاً ونُقْصاناً ونَقِيصةً ونَقَصَه هُوَ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى؛ وأَنْقَصَه لُغَةٌ؛ وانْتَقَصَه وتَنَقَّصَه : أَخذ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلاً"(٢) فهو لا يصيبه العيب ولا القليل منه الذي يقلل من شرفه وحسبه . وذلك يكون نفى عن نفسه أي منقصة كثيرة كانت أو قليلة.

وقال (من شرفي) ولم يقل (مني)؛ ليدلل على أنه الشريف الرفيع القدر ، فهو ذو شرف منيع لا يستطيع أحد أن ينال منه.

وقد أراد الشاعر أن يدلل على شرفه وبعد مكانته ، وسمو منزلته العالية، التي لا يطاولها أحد فأتى بذلك التشبيه البليغ (أنا الثريا(٣)) الذي شبه فيه نفسه بالثريا ، ذلك النجم العالي في السماء، فهو يضاهيه رفعةً وبعدًا وضياءً واقتداءً.

كما أنه أسلوب قصر طريقه تعريف الطرفين ليفيد الاختصاص ، فهو الثريا، ولا يوجد أحد غيره يتصف بذلك الوصف.

وقال (وذان الشيب والهرم) (ذان) إشارة إلى العيب والنقصان ، فقد شبه العيب والنقصان بالنسبة له بالشيب والهرم بالنسبة للثريا ، فكما أن الثريا لا يلحقها الشيب والهرم ، كذلك هو لا يلحقه العيب والنقصان ،

---

(١) ينظر السابق ج١٢ ص ٥٣٩ .

(٢) السابق ج٧ ص ١٠٠ .

(٣) الثُّرَيَّا : النَّجْمُ الْمَعْرُوفُ . وَيُقَالُ : إِن خِلَالَ أَنجم الثُّريا الظَّاهِرَةِ كَوَاكِبُ خَفِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْعَدَدِ . لسان العرب ج١٤ ص١١٢

فهذا التشبيه دل على استحالة إلحاق العيب والنقصان به.

والبيت فيه تعريض ؛ لأنه إذا كان هو بعيدًا عن المعايب فمن المعيب؟ فكأنه يعرض بالمخاطب. والبيت التالي يؤكد ذلك فهو يقول فيه :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم

يقول : إنه لا يجد من المخاطب إلا الضرر والأذى والغضب ، بينما غيره يجد منه الإكرام والعطاء الوفير.

فالبيت كله تشبيه ضمني شبه فيه المخاطب بالغمام وهو السحاب الممطر يجد منه الشاعر الصواعق المميتة ، أما المطر والخير الوفير فهو يذهب لغيره، الذي يستحق فعلا أن تذهب إليه هذه الصواعق.

بدأ الشاعر بيته بهذا التمني الذي استخدم فيه (ليت) ليشعر بأن هذه الأمنية التي يطلبها بعيدة المنال ، أو تكاد تكون مستحيلة ، بسبب ما يجده من سوء المعاملة من المخاطب.

وقال (الغمام) أي السحاب ليدلل على أن المخاطب لديه من الخير الكثير ومع ذلك لا ينتفع هو به ؛ بدليل قوله بعد ذلك (الذي عندي صواعقه) فهو لا يجد من ذلك السحاب سوى الصواعق، وكلمة (الصواعق) فيها ما فيها من الضرر؛ لأن" الصاعِقة الصوتُ الشَّدِيدُ مِنَ الرِّعْدَةِ يُسْقَطُ مَعَهَا قطْعةُ نارٍ، ويُقَالُ إِنها المِخْراقُ الَّذِي بِيَدِ المَلَك لَا يأْتي عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلا أَحْرَقَه... الصاعِقةُ نَارٌ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ فِي رَعْدٍ شَدِيدٍ، والصاعِقةُ صَيْحةُ الْعَذَابِ...وَقَوْلُهُ عَزّ وَجَلّ: چ ڈ ڈ ژ ژ چ[1] قَالَ أَبو إِسحق : الصاعِقةُ مَا يَصْعَقون مِنْهُ أَي يَمُوتُونَ.[2]

فلننظر إلى الدقة المتناهية في اختيار الشاعر لتلك الكلمة، ففيها

---

(١) سورة البقرة من الآية ٥٥ .

(٢) لسان العرب ج١٠ ص ١٩٨ .

الصوت العالي الذي يصم الآذان ، وفيها الإحراق، وفيها الموت المؤكد. فأي ضرر أكبر من ذلك؟ وقد أتى بها على صيغة الجمع ليوضح أنه لحقه الكثير من الضرر، فضلا عن استخدام الظرف (عندي) قبلها ليدل على تمكن إلحاق الضرر به فلقد وصل إليه بالفعل فهو مستقر عنده.

ولقد عبر عن أمنيته في انتهاء الضرر وذهابه عنه بقوله (يزيلهن)" فالزَّوَال: الذَّهاب والاسْتِحالة والاضْمِحْلال... وزَالَ القومُ عَنْ مَكَانِهِمْ إِذا حَاصُوا عَنْهُ وتَنَحَّوْ... يُقَالُ: اسْتَحِل هَذَا الشخصَ واسْتَزِلْه أَي انظُر هَلْ يَحول أَي يَتحَرَّك أَو يَزول أَي يُفَارِقُ مَوْضِعَهُ"[1] فقد تمنى أن يفارقه الضرر بصورة نهائية ، ومجيء هذه الكلمة على صورة الفعل المضارع ما يدل على تمنيه تجدد هذه الإزالة، واستمرارها فلا يعاوده الضرر مرة أخرى ، وفاعل هذا الفعل هو الضمير العائد على الغمام المقصود به المخاطب ليقول إن حالة الضرر هذه لا يقدر على إزالتها سوى المخاطب ، من باب من أفسد شيئًا فعليه إصلاحه.[2]

ثم هو لم يتمن الإزالة من عنده فقط ، بل يريد أيضًا أن تذهب هذه الصواعق إلى الخصم الذي ينتفع من كرم المخاطب وعطائه ؛ حيث قال: (يزيلهن إلى من عنده الديم) حيث عرفه بالموصولية فقال: (من عنده الديم) فهو لا يعنيه من يكون هذا الشخص ، وما هو اسمه ، فلطالما انتفع بعطاء المخاطب على حساب ضرر الشاعر بدليل قوله: (عنده الديم) ؛

---

(١) السابق ج١١ ص٣١٤ .

(٢) القاعدة تقول: (من أفسد شيئًا صحيحًا فعليه إصلاحه وضمانه) الجامع لعلوم الإمام أحمد ج١٢ ص٩٦ – الفقه الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح] الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

فهو يريد أن يرتد عليه هذا الضرر حتى يشعر بعظم بما أصاب الشاعر.

والتعبير بكلمة (الديم) يشعر بالخير العميم الذي تنعم به هذا الخصم في هدوء وراحة بال فالدَيَمَ:

جمع ديمة ,"الديمةُ: الْمَطَرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَعْد وَلَا بَرْقٌ، أَقله ثُلْثُ النَّهَارِ أَو ثُلْثُ اللَّيْلِ، وأَكثره مَا بَلَغَ مِنَ العِدَّة، ... الدِّيمةُ الْمَطَرُ الدَّائِمُ فِي سُكُونٍ"[1] . والإتيان بهذه الكلمة على صورة الجمع تشعر بكثرة هذا الخير وتتابعه، فلكم كان الشاعر موفقًا في اختيار هذه الكلمة، إلى جانب الطباق بين كلمتي (الصواعق) بما فيها من معنى الضرر الجسيم ، و(الديم) بما فيها من معنى الخير العميم.

ثم يقول الشاعر في البيت التالي:

أرى النوى يقتضيني كل مرحلة لا يستقل بها الوخادة الرسم

يقول الشاعر : إن البعد يكلفني ما لا أطيق ؛ فهو يلزمني قطع المسافات الطويلة التي لا تستطيع قطعها الإبل القوية السريعة.

فالشاعر في هذا البيت يحاول أن يؤنب المخاطب؛ ليحرك مشاعره، ويستدر عطفه ، فهو يصف له ما يفعله به بعده عنه ، وقد استخدم الألفاظ والأساليب التي تناسب هذه الحالة ، ومن ذلك:

استخدام الفعل المضارع (أرى) في بداية بيته الذي يعمل على استحضار المشهد أمامه ، ويجعله متجددًا مستمرًّا ، فهو دائما ما يكون على هذه الحالة من رؤية البعد ، فهو في بعد دائم.

واستخدم كلمة (النوى) التي تجمع بين معنى البعد والمفارقة[2] ليصف

---

(١) لسان العرب ج١٢ ص٢١٩

(٢) نأي :النَّأْيُ: البُعدُ .نَأَى يَنْأَى : بَعُدَ، بِوَزْنِ نَعى يَنْعَى . ونَأَوْتُ : بَعُدْت، لُغَةٌ فِي نأَيْتُ .والنَّأْي : المُفارقة . لسان العرب ج١٥ ص ٣٠٠

لنا حاله مع المخاطب، الذي لا يجد منه سوى البعد والمفارقة، فضلا عن تعريف الكلمة بـــ (أل) الجنسية ؛ ليدل على أنه النوى المعروف الذي لا ينكر.

وقال : (يقتضيني) ولم يقل : (يكلفني) مثلا ؛ لما في هذه الكلمـــة من معنى الحتم والإلزام[١] فالبعد يكلفه ويلزمه بما لا يطيق، بالإضافة إلـــى ثقل حروف تلك الكلمة مما يدل على ثقل ذلك على نفسه، ومشقته عليه.

ثم قال (كل مرحلة) ليوحي بتكرر تلك المراحل ، فهذا لم يحـــدث مرة واحدة بل حدث مرات ومرات ، وكل مرة تثقل على الشاعر ، وتـــؤثر على نفسيته .

ثم أراد أن يدلل على صعوبة هذا البعد وما يكلفه من مشقة لا يقدر عليها إنسان ولا حتى حيوان فقال (لا يستقل بها الوخادة الرســـم) أي لا يستطيع قطع هذه المسافة حتى أقوى الإبل وأسرعها ؛ لأن كلمة (الوخادة) بمعنى القوية التي تؤثر حوافرها على الأرض من قوتها وشدتها، يقال "خَدَّ الدَّمْعُ فِي خَدِّهِ : أَثَّر . وخَدَّ الْفَرَسُ الأَرضَ بِحَوَافِرِهِ : أَثر فِيهَا"[٢]

وكلمة (الرسم) أيضا بمعنى القويـــة الســـريعة التـــي تـــؤثر فـــي الأرض" الرَّسْمُ: الأَثَرُ، وَقِيلَ : بَقِيَّةُ الأَثَر، ... وَنَاقَةٌ رَسُـــومٌ : تُـــؤَثِّرُ فِـــي الأَرض مِنْ شِدَّةِ الْوَطْءِ . ورَسَمَتِ النَّاقَةُ تَرْسِمُ رَسِيماً : أَثَّرَتْ فِـــي الأَرض مِنْ شِدَّةِ وَطْئِهَا ... والرَّسِيمُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ مُؤَثِّرٌ فِـــي الأَرض .والرَّسَمُ : حُسْن الْمَشْيِ " [٣]

---

(١) الْقَضَاءُ :الحَتْم والأَمْرُ. وقَضَى أَي حَكَمَ، وَمِنْهُ القَضَاء والقَـــدر . وَقَوْلُـــهُ تَعَـــالَى (وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) الإسراء من الآية ٢٣ ؛ أَي أَمَر رَبُّكَ وحَتَم، وَهُوَ أَمـــر قَاطِعٌ حَتْم. لسان العرب ج١٥ ص ١٨٧ .

(٢) لسان العرب ج٣ ص ١٦١ .

(٣) السابق العرب ج١٢ ص ٢٤١ -٢٤٢ .

وأتى بهاتين الكلمتين (الوخادة ، الرسم) مع أن معناهما يكاد يكون واحدًا ؛ وذلك للتأكيد وللدلالة على أن هذه الإبل مهما بلغت في القوة والسرعة لا تستطيع تحمل ما تحمله الشاعر في قطع هذه المسافات الطويلة التي أرهقته وفعلت به ما فعلت.

ثم يقول الشاعر في البيت التالي:

لئن تركت ضميرا[1] في ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

يقول الشاعر في هذا البيت : أقسم لو أنني تركت هذا المكان ورحلت ليندمن من تركتهم ندمًا عظيمًا. وهو يقصد بذلك فراقه لسيف الدولة.

ما زال التعالي في الحديث يلازم الشاعر وقد استخدم الشاعر من الألفاظ والأساليب ما يؤكد ذلك:

فقد بدأ بيته بلام القسم ليقطع الشك باليقين، ولا يدع لأحد مجالا للشك في كلامه، ولم يكتف بذلك ؛ بل أكد كلامه بأكثر من مؤكد (لام القسم، وإن ، والفعل الماضي) ليوحي بأن ما سيأتي بعد القسم والمؤكدات بعده أمر جلل.

ثم هو لم يقل : (لئن رحلت) أو (إن تركتكم وغادرت) بل قال : (لئن تركت ضميرًا...) يعني بمجرد أن أدير ظهري عنكم بحيث يكون جبل ضمير عن يميني ستحدث الكارثة ، بدليل قوله : (ليحدثن....) فقد جاء بجواب القسم المؤكد باللام والفعل المضارع المقترن بنون التوكيد، ليؤكد على حدوث ذلك الأمر فهو واقع لا محالة ، واستخدم الفعل المضارع ليستحضر صورة المشهد أمام السامع.

---

(١) ضمير: جبل على يمين طالب مصر من الشام ، وهو قريب من دمشق. الديوان هامش ج٣ ص ٣٧٢ .

وعبر بالاسم الموصول وصلته فقال : (لمن ودعتهم) ولم يقل : (ليحدثن لكم) مثلا ، ليعظم من الأمر ويفخمه ، فهذا يحدث للذين يودعهم خاصة؛ لأن وداعه لهم ليس بالأمر الهين .

ثم أتى بكلمة (ندم) نكرة للتعظيم ؛ فالذين يودعهم يحدث لهم ندم عظيم وأسف شديد، حيث لا ينفع الندم .

وهذا تهديد واضح لسيف الدولة ؛ لأنه يريد أن يقول له: متى حملتني على الرحيل فلا تلومن إلا نفسك.

فالأبيات السابقة تبين أن الشاعر لم يأل جهدا في تبكيت المخاطب ، وتأنيبه ، وإلقاء اللوم عليه ، ووصفه بأنه سبب كل مشقة لحقت به، مع التعالي وتفضيل نفسه عليه. فهو لم يراع في كل ذلك رتبته كمتكلم .

ومما لم يراع فيه المتنبي رتبة المتكلم ما عابه عليه ابن رشيق في باب الخروج أي الخروج من غرض إلى آخر في القصيدة فقال: " وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به؛ لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه... "[(١)] ومثل لذلك لبعض الشعراء، ثم قال:" وأكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب؛ فإنه ما يكاد يفلت له، ولا يشذ عنه، حتى ربما قبح سقوطه فيه، نحو قوله:

ها فانظري أو فظني بي تري حرقاً ... من لم يذق طرفاً منها فقد وألا
عل الأمير يرى ذلي فيشفع لي ... إلى التي تركتني في الهوى مثلا [(٢)]
(من البسيط)

فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً"، وليس هذا من قول أبي نواس:

---

(١) العمدة ج١ص٢٣٤ .

(٢) الديوان ج٣ ص١٦٥ .

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد ... هوانا؛ لعل الفضل يجمع بيننا[١]

في شيء؛ لأن أبا نواس قال " يجمع بيننا " ثم اتبع ذلك ذكر المال والسخاء به، فقال:

أمير رأيت المال في نعمائه ... مهيناً ذليل النفس بالضيم موقنا[٢]

فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالمال خاصة : يفضل عليه، ويجزل عطيته، فيتزوجها أو يتسرى بها، وأبو الطيب قال " : يشفع " والشفاعة رغبة وسؤال، ثم أتبع بيته بما هو مقوٍ لمعناه في القيادة فقال:

أيقنت أن سعيداً طالب بدمي ... لما بصرت به بالرمح معتقلا[٣]

فدل على أنه يشفع، فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك، وإلا رجع إلى القهر.. [٤]

هذا ما قاله ابن رشيق تعليقًا على بيتي المتنبي ، فقد عد هذا الخروج معيبًا وقد قبح سقوط المتنبي فيه.

وقد قال الشاعر هذين البيتين في قصيدة " يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي وهي من القصائد التي قالها في صباه"،[٥] وقد بدأها بالنسيب ، ثم انتقل من النسيب إلى المدح .

ومعنى البيتين : هو أن الشاعر يطلب من محبوبته أن تنتبه له وتنظر إلى حاله ، وإن لم تستطع النظر فلتفكر فيه وتظن به فسوف ترى

---

(١) ديوان أبي نواس ص٢٢ طبع بنفقة الخواجا لطف الله الزهار ١٨٨٤م طبع في مطبعة جمعية الفنون ١٢٠١هـ .

(٢) ديوان أبي نواس ص٢٢ .

(٣) السابق ج٣ ص ١٦٦.

(٤) العمدة ج١ ص٢٣٤ .

(٥) الديوان ج٣ ص١٦٢ .

حروقًا كثيرة به من أثر هواها ، ثم يقول إن الذي لم يعرف نار الهوى أو يجربها فقد نجا .

ثم ينتقل في البيت التالي للحديث عن الأمير ويرجو منه أن يكون شفيعًا له عند محبوبته التي جعلته مثلا للمحبين وما يلقونه من عذاب في العشق.

وقد بدأ بيته الأول بـ (ها) التنبيه لينبه محبوبته ويلفت نظرها إليه، بدليل أنه جاء بعدها بفعلي الأمر (انظري أو فظني) وهذين الأمرين للالتماس ، ثم هو يخيرها بين الفعلين بقوله : (أو) فهو يلتمس منها النظر إلى حاله أو حتى التفكير فيه .

ثم قال : (بي) فهو يطلب منها النظر في حاله هو أو التفكير فيه هو دون سواه .

ثم عبر بالفعل (ترى) ليقول لها بأن حاله واضح ، فبمجرد النظر أو التفكير فيه ترى بعينيها حاله الواضحة التي لا تخفى على أحد.

ثم قال : (حُرَقًا) لأن "حرق :الحَرَقُ، بِالتَّحْرِيكِ :النَّارُ.... وأَحرقته النَّارُ وحَرّقَتْه فَاحْتَرَقَ وتحرّقَ، والحُرْقَةُ :حَرارتها .أَبُو مَالِكٍ :هَذِهِ نارٌ حِراقٌ وحُراق: تُحْرِق كُلَّ شَيْءٍ. وأَلقى اللَّهُ الْكَافِرَ فِي حارِقَتِه أَيْ فِي نارِه؛ وتحرّقَ الشيءُ بِالنَّارِ واحْتَرقَ، وَالِاسْمُ الحُرْقَةُ والحَرِيقُ ... وعَنِ اللَّيْثِ :الحُرقة مَا تَجِدُ فِي الْعَيْنِ مِنَ الرمَد، وَفِي الْقَلْبِ مِنَ الوجَع"(١) فهذه الكلمة أوحت بما يعانيه الشاعر من الألم والوجع بسبب هذا الحب. بالإضافة إلى مجيء هذه الكلمة بصيغه الجمع ما يوحي بعظم آلامه وكثرتها.

ثم أراد أن يدلل على شدة عذابه ولوعته فجاء بالجملة الشرطية

---

(١) ينظر : لسان العرب ج١٠ص٤١-٤٢ .

(من لم يذق طرفًا منها فقد وألا) والتعبير بالمضارع المنفي (لم يذق) ليفيد تجدد نفي هذا الفعل واستمراره يعني لم يذق على وجه التجدد والاستمرار، ثم قال : (طرفا منها) ليبين أن أقل القليل من هذه الحرق التي تسببت عن الحب يصيب أي إنسان باللوعة والنار ، والألم الشديد

ثم جاء بجملة جواب الشرط (فقد وألا[1]) وبدأها بالفاء ليوحي بسرعة حدوث النجاة ، وأراد أن يؤكد حدوث هذا الفعل فأكد الفعل (وألا) بـ (قد) فالذي لم يذق الحب تحققت له النجاة المؤكدة.

ثم انتقل في البيت التالي إلى الحديث عن الأمير فأتى في بداية البيت بـ (عل) التي للترجي فقال: (عل الأمير يرى ذلي فيشفع لي) فهو يرجو الأمير أن يرى ذله في الحب فيكون شفيعًا له عند محبوبته ، وعبر بـ (يرى) في قوله : (يرى ذلي) ليوحي بأن ذله واضح لا يخفى على الناظر إليه، وجعله مضارعًا ليدل على تجدد الرؤية واستمرارها مع استحضار صورة رؤية الذل فيستعطفه فيشفع له، ثم إنه جعل الذل شيئًا ماديا يرى بمجرد النظر إليه، وعبر بكلمة (ذلي) ؛ لأن "الذُّلُّ: نَقِيضُ العِزِّ، ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا وذِلَّة وذَلالة ومَذَلَّة، فَهُوَ ذَلِيل"[2] فهذه الكلمة توحى بمدى الانكسار الذي أصابه بسبب ما فعلته به هذه المحبوبة .

ثم قال (فيشفع لي) عبر بكلمة (يشفع) دون غيرها ؛ لأن " الشَّفاعةُ : كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغَيْرِهِ .وشَفَعَ إِليه : فِي مَعْنَى طَلَبَ إِليه . والشَّافِعُ : الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلى الْمَطْلُوبِ"(٣)

---

(١) وَأَلَ :وَأَلَ إِليه وَأْلًا ووُؤُولًا وَوَئِيلًا وواَعَلَ مُواَعَلَةً ووِئالًا: لجأَ... وواَعَلَ مِنْهُ عَلَى فَاعَلَ أَي طَلَبَ النَّجَاةَ. ينظر : لسان العرب ج١١ ص٧١٥ .

(٢) السابق ج١١ ص٢٥٧ .

(٣) لسان العرب ج٨ ص١٨٤ .

فمكانة الأمير تجعل المحبوبة تقبل شفاعته، وهذا ما جعله يلجأ إلى الأمير للشفاعة.

وجاء بالفاء ليفيد السرعة فبمجرد رؤية ذله يشفع له من غير مهلة ، وأتى بالفعل المضارع (يشفع) ؛ ليفيد تجدد الشفاعة واستمرارها ، فكلما رأى عليه أثر الذل شفع له.

وقال : (لي) ؛ ليخص نفسه بهذه الشفاعة بسبب قربه من الممدوح.

ثم في الشطر الثاني قال : (إلى التي تركتني في الهوى مثلا) فلم يصرح باسم محبوبته بل ذكر وصفها عن طريق التعبير بالاسم الموصول وصلته ؛ فقد أراد أن يميز هذه المحبوبة بوصفها ؛ لأن السامع لا يهمه اسمها في شيء وإنما الذي يهمه هو ما فعلته بالشاعر؛ فجاء اسم الموصول وصلته ليحقق مراد الشاعر ، ثم إنه أراد التأكيد على ما فعلته به مع تعظيمه وتهويله، كما أن اسم الموصول فيه إبهام فإذا ذكرت صلته زال هذا الإبهام ، وهذا الإبهام ثم التوضيح يكون فيه تشويق للسامع .

وعبر بالفعل (تركتني) ؛ لأن الترك فيه معنى الودع والتخلية، كما أن الترك : الجعل في بعض اللغات[1] فهو يريد أن يحمل اللفظ كل تلك المعاني فهي تركته وفي نفس الوقت جعلته يصير مضرب المثل بين العشاق في العشق .

وفي قوله : (في الهوى) عبر بفي ؛ ليوحي بمدى انغماسه في الهوى وتوغله فيه بحيث لا يستطيع الخروج منه ، وقدم الجار والمجرور على المفعول للتخصيص فهو قد صار مثلا في الهوى لا غير.

وقال : (مثلا) ؛ ليوحي بأن حاله في الهوى صار من الشهرة

---

(١) ينظر : لسان العرب ج١٠ ص ٤٠٥.

بمكان بحيث يضرب به المثل.

فالبيت الثاني أراد الشاعر أن يتخلص به من النسيب إلى المدح وليته ما فعل ؛ لأنه أتى بشيء مستقبح يلام عليه، فهو لم يراع رتبته كمتكلم يخاطب أميرًا مما جعله عرضة للنقد من الكثيرين فقد قال ابن حجة الحموي عن البيت : وهو" من تخاليصه القبيحة ... وسبب قبح هذ المخلص، كونه جعل ممدوحه ساعيًا بينه وبين محبوبته في الوصال، ولا خفاء في دنو هذه المرتبة."(١)

و قال ابن الأثير" والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره"(٢)

"فينبغي لسالك هذا الطريق أن ينظر إلى ما يصوغه، فإن أتاه التخلص حسناً أتى به، وإلا فليدعه."(٣)

ومما انتقد فيه ابن رشيق المتنبي قوله:

كأني دحوت(٤) الأرض من خبرتي بها ... كأني بنى الإسكندر(١) السد من عزمي(٢)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص٣٣١ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ ص٢٥٩ .

(٣) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ج٢ ص ١٧٠ .

(٤) دَحَوَ :الدَّالُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بَسْطٍ وَتَمْهِيدٍ .

يُقَالُ : دَحَا اللَّهُ الْأَرْضَ يَدْحُوهَا دَحْوًا، إِذَا بَسَطَهَا. وَيُقَالُ دَحَا الْمَطَرُ الْحَصَى عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ. وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَا فَقَدْ مَهَّدَ الْأَرْضَ. وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ إِذَا رَمَى بِيَدَيْهِ رَمْيًا، لَا يَرْفَعُ سُنْبُكَهُ عَنِ الْأَرْضِ كَثِيرًا : مَرَّ يَدْحُو دَحْوًا . وَمِنَ الْبَابِ أُدْحِيُّ النَّعَامِ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يُفَرِّخُ فِيهِ، أُفْعُولٌ مِنْ دَحَوْتُ؛ لِأَنَّهُ يَدْحُوهُ بِرِجْلِهِ، ثُمَّ يَبِيضُ فِيهِ. وَلَيْسَ لِلنَّعَامَةِ عُشٌّ . ويقال للاّعب بالجوز : أَبْعِدِ المَدى وادْحُهُ، أي ارْمِهِ .

(ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج٦ ص ٣٣٤ المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ـ الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. وينظر معجم مقاييس اللغة ج٢

(من الطويل)

فشبه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ثم انحط إلى الإسكندر، وربما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحاً له وزيادة فيه [٣]

قال الشاعر هذا البيت في قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي ، وهو يقول في هذا البيت: إنه من كثرة ترحاله وضربه في الأرض صارت عنده معرفة عظيمة بجميع مناحي الأرض؛ حتى كأنه بسط الأرض ومهدها كما يحلو له، وأن الإسكندر كأنه عندما بنى السد استعان بعزمه وقوته، وهذا دليل شدة عزمه في الأمور، وقوته التي لا تقهر.

ما زالت نبرة الغرور تلازم الشاعر ، فهو لا يترك الفخر بنفسه في أي مناسبة ، وهنا قد وصل به التفاخر والتعالي إلى أقصى درجاته فقد نسي رتبته كمتكلم ، وتطاول لدرجة أنه شبه نفسه بالخالق سبحانه وتعالى ، فجاء بهذا التشبيه في صدارة بيته (كأني دحوت الأرض...) فهو لكثرة حله وترحاله، وسهولة ذلك عليه كأنه مهد الأرض وبسطها بيده لتتلاءم مع كثرة أسفاره؛ بحيث لا يعوقه شيء عن تلك الانتقالات من مكان إلى آخر.

وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [٤] "وَالدَّحْوُ

ص٣٣٣المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ــ الناشر: دار الفكر ــ عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

(١) الإسكندر : هو ذو القرنين ، قيل كان نبيًّا. وقال علي عليه السلام : لم يكن نبيًّا ، بل كان رجلا صالحًا (ينظر الديوان هامش ص ٥٢ .

(٢) الديوان ج٤ ص ٥٢ .

(٣) العمدة ج٢ ص ٦٣- ٦٤ .

(٤) النازعات أية ٣٠ .

... هُوَ : الْبَسْطُ وَالْمَدُّ بِتَسْوِيَةٍ. وَالْمَعْنَى : خَلَقَهَا مَدْحُوَّةً، أَيْ مَبْسُوطَةً مُسَوَّاةً."(١)

وهذه مغالاة من الشاعر لم يراع فيها رتبته كمتكلم، وقد قال ابن حجة الحموي : " هذا أيضًا من الغلو الذي يؤدي إلى سخافة العقل، مع ما فيه من قبح التركيب، وبعده عن البلاغة"(٢)

وعبر بكلمة (خبرتي) في قوله : (من خبرتي بها) ولم يقل : (معرفتي أو علمي) ؛ لأنه يقال : "خَبُرْت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخْبُرُه إذا عرفته على حقيقته"(٣) فهو عارف بحقيقة الأرض ولا يخفى عليه شيء فيها.

ثم أتى في صدر الشطر الثاني بتشبيه آخر فقال: (كأني بني الإسكندر السد من عزمي) فهذا السد المنيع الذي بناه الإسكندر إنما بناه بعدما استعار عزم الشاعر ، وهذا يوحي بمدى عزمه وإمضائه للأمور، فهو القوي في قراراته ، الماضي فيها بكل قوة ، لا يستطيع أحد أن يوقفه.

ولكن هذا التشبيه انحط فيه بعدما شبه نفسه بالخالق قال صاحب الطراز : " فشبه نفسه أولا بالخالق جل جلاله في دحوه الأرض ثم انحط منه إلى ما شبه نفسه بالإسكندر"(٤)

---

(١) التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد » ج٣٠ ص ٨٦ ــ المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن= =عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ج٢ ص١٩ .

(٣) لسان العرب ج٤ ص ٢٢٦ .

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٣ ص ٧٠ .

وعبر بكلمة (السد) ؛ لأن "السُّدُّ :الْجَبَلُ، وَقِيلَ : مَا قَابَلَكَ فسَدَّ مَا وراءَه فَهُوَ سَدٌّ وسُدٌّ."[1] ليوحي بعظم ما يستطيع فعله؛ فهو إذا أمضى عزمه في شيء صنع المستحيل.

وكذلك التعبير بكلمة(عزمي) ؛ لأن" العزم : الجد ، وقال الليث: العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله"[2] ؛ ليوحي بأنه إذا أراد فعل شيء جد فيه وعقد النية على فعله، ومن ثم فعله بكل إصرار وقوة.

فهذا البيت يتضح فيه عدم مراعاة المتكلم رتبته بعدما سوى نفسه بالخالق .

فالواضح في شعر المتنبي أنه كان يضع نغمة الغرور ونبرة التعالي في شعره ، فهو المعتز بذاته ، الواثق من قدراته ، فلا أحد يضاهيه في عزمه وقوته .

وقد قال عنه شوقي ضيف :" وليس من شك في أن المتنبي كان موفقًا حين وضع هذه النغمة في شعره، لسبب طبيعي وهو أن كل عربي ينطوي عليها، ينطوي على الثقة بالنفس التي لا حد لها وما يتصل بها من الأنفة والإباء والشعور بالكرامة ومن أجلها كان شعر المتنبي يلتصق بنفوس العرب على مدار الزمن ويشغفون به شغفًا شديدًا؛ ولكن هذا كله ينبغي أن لا ينسينا ما قلناه، فقد كان المتنبي شاعرًا ماهرًا، واستطاع بمهارته أن يخفي حقيقة فنه وصناعته عن كثير من المستمعين والنظارة، وأعانه في ذلك أنه كان صاحب صوت ضخم لا يرتفع به حتى يحدث جلبة شديدة. وهذا نفسه ما ضلل النقاد قديمًا وحديثًا في فهمه؛ فقد تابعوه في وصفه للأعرابيات وتشاؤمه وحكمه وتمجيده للبطولة العربية وفخره

---

(١) السابق ج٣ ص ٢٠٨ .

(٢)الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج١٢ ص ٣٩٩ .

وطموحه إلى المعالي وترفعه عن الدنايا ونسوا نسيانًا تامًّا أنه شاعر متصنع يحترف التصنع في شعره للثقافات المختلفة؛ إذ يحاول أن ينقل إيماءة شيعية أو صوفية، وشارة فلسفية أو منطقية، وشاذة لغوية أو نحوية. وشاردة تركيبية أو موسيقية، وبذلك كان قطبًا كبيرًا في مذهب التصنع، بل لقد كان المفتاح الذي أخذت تتساقط منه نغمات هذا المذهب في قصائد الشعراء ونماذجهم."[١]

المطلب الثالث : عدم مراعاة الرتبة بين الوالد وولده

جرت عادة الشعراء منذ الجاهلية إلى الآن بالفخر بالآباء؛ لأن الفخر دائمًا يتعلق بالأصل ، وكذلك إذا مدح الشاعر يمدح بالآباء والأجداد ؛ لأنهم الأصل في الرتبة، أما المدح أو الفخر بالولد فكأنه منقطع الأصل.

والقصة الشهيرة في كتب الأدب للنابغة الذبياني مع حسان بن ثابت تثبت هذا الكلام ؛ وذلك عندما أنشد حسان بن ثابت في سوق عكاظ بين يدي النابغة الذبياني بيته المعروف:

ولدنا بنى العنقاءِ وابنَىْ محرِّقٍ ... فأكرمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما[٢]

انتقده النابغة قائلا: فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك [٣]

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٤٨المؤلف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثانية عشرة .

(٢) شرح ديوان حسان ابن ثابت الأنصاري ص٣٧١ تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ١٣٤٧-١٩٢٩م ــ المطبعة الرحمانية بمصر .

(٣) ينظر القصة في كتاب المصون في الأدب ص ٣-٤ المؤلف: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ــ الناشر مطبعة حكومة الكويت ــ الطبعة: الثانية، ١٩٨٤م .

ولذا عاب ابن رشيق على المتنبي في باب (الافتخار) في كتابه عدم فخر المتنبي بآبائه حيث قال:

" وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله:

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي[١]

وإنما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول:

وما سودت عجلاً مآثر غيرهم ... ولكن بهم سادت على غيرهم عجل[٢]

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح، ويغض من حسبه، ويحقر من شأن سلفه، وإنما طريقة المدح يشرف بآبائه، والآباء تزداد شرفاً بـــه؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفـــي المـــدح نصـــيباً، وإذا حصـــلت الحقائق كان النصيبان مقسومين، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله، فـــإن رعـــى وحرس ثبت وازداد، وإن أهمل وضيع هلك وباد. وكذلك شرف الوالد يعـــم القبيلة، وللولد منه القسم الأوفر، والحظ الأكبر.

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قـــول المتوكل الليثي:

إنا وإن أحسابنا كرمت ... لسنا على الأحساب نتكل[٣]

---

(١) رواية الديوان: لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي الديوان ج١ ص٣٢٢ .

(٢) قال هذا البيت علي بن جبلة يمدح أبا دلف العجلي (ينظر شعر علي بن جبلة الملقب بالعكوك (١٦٠-٢١٣هـــ) ص ٤٧ ــ تحقيق د/ حسن عطوان ط ٣ دار المعارف .

(٣) العمدة ج٢ ص١٤٥- ١٤٦ .

وهذا البيت روايته في الديوان : لسنا وإن أحسابنا كرمت ... ممن على الأحساب يتكل ديوان المتوكل الليثي ص ٢٧٦ د. يحيى الجبوري ــ الناشر مكتبة الأندلس بغداد بدون طبعة

يقول المتنبي في بيته أنه لم يشرف بقومه بل هم الذين شرفوا به ، ولم يفخر بجدوده بل يفخر بنفسه فقط ، وكأنه منقطع الأصل.

وقد أتى الشاعر في البيت بالأساليب البلاغية التي تؤكد كلامه، ومن ذلك: أسلوب القصر الذي طريقه العطف بـ (بل) في قوله في الشطر الأول : (ما بقومي شرفت بل شرفوا بي) فقد قصر الشرف على نفسه ، ونفاه عن قومه ، فهو نفي عن قومه أن يكون هو الذي شرف بهم ، وأثبت شرف قومه به، وأسلوب القصر من الأساليب القوية التي يأتي بها المتكلم ليؤكد كلامه.

وكذلك أسلوب القصر الذي طريقه التقديم في قوله : (وبنفسي فخرت) فقدم الجار والمجرور(بنفسي) على الفعل (فخرت) ليقصر الفخر على نفسه ويثبته لها ، بخلاف إن قال (فخرت بنفسي) فأفاد التخصيص، وأكد ذلك التخصيص عندما جاء بالعطف بـ (لا) فأثبت الفخر لنفسه ونفاه عن جدوده، فأكد كلامه أيضًا.

"فختم القول بأنه لا شرف له بآبائه. وهذا هجْوٌ صريح، وقد رأيتُ من يعتذر به فيزعم أنه أراد : ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفيّ مناقبُ سوى الحسب. وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيّبة، وإنما يُستشهد بالظاهر ويتبع موقع اللفظ . فأما قوله:

وبنفسي فخرت لا بجدودي

فهو صالح؛ لأنه لم ينْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال : أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضلُكم ولا أفتقر إلى

مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة [1]

إذن فمن المقبول أن يشرف الإنسان ويفخر بنفسه، وهذا لا ينفي شرف آبائه .

" يحكى أنَّ رجلاً تكلم بين يدي عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب .فقال له وقد أعجبه : أبن من أنت يا غلام؟ قال : ابن نفسي، يا أمير المؤمنين : والتي نلت بها هذا المقام منكم . وأخذه بعض الشعراء فقال:

كن ابن من شئت واتخذ أدبا ... يغنيك مأثوره عن الحسب

إنَّ الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

... ويحكى عن يحيى بن أكثم قال : بينما أنا يومًا جالس مع المأمون إذ دخل الدار فتى أبرع الناس زياً وهيبة ووقاراً، وهو لا يلتفت إعجابًا بنفسه . فنظر إليه المأمون فقال : يا يحيى، هذا لا يخلوا أنَّ يكون هاشميًّا أو نحويًّا. ثم بعث من يتعرف ذلك منه، فإذا هو نحوي . فقال المأمون : يا يحيى، أن علم النحو قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بني هاشم في شرفهم؟ يا يحيى، من قعد به نسبه، نهض به أدبه... والشعر في هذا المعنى كثير، وأصل هذا كله قوله تعالى وجلت كلمته: چ ۈ ۇ ۇ چ[2] ، وقوله تعالى: چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ[3] وقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: أيّها الناس إنّما الناس أخوة وليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى. أيّها الناس إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد كلكم

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٧٥ المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ــ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) من الآية ١٠ الحجرات .

(٣) من الآية ١٣ الحجرات .

لآدم وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم. وهو قطع لمّا كانت فيه العرب من الافتخار بالآباء."[١]

والمتنبي يعتز بنفسه وشخصيته وشعره والجميع يعرف من هو جيدًا ، فلا غرو أن يترك الفخر بآبائه وأجداده ويفخر بنفسه، وهذا لا ينفي الشرف عن آبائه وأجداده ، وإنما أراد أن يقول كما قال القائل : (ها أنا ذا) "وقالوا : كن عصاميًّا لا عظاميًّا ، ومعناه لا تفتخر بشرف آبائك ولكن بما يؤثر من أنبائك وعصام المشار إليه كان رجلاً سوقة ثم صار حاجباً للنعمان بن المنذر فسئل عن سبب وصوله إلى هذه المنزلة العالية والرتبة الحالية فقال: نفس عصام سودت عصاماً ، وعلمته الكر والإقداما، وصيرته ملكاً هماماً ، وقالوا : شرف الأعراق يحتاج إلى شرف الأخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه ، يحكي في هذا أن رجلاً من بني هاشم تخطى رقاب الناس في مجلس أحمد بن أبي دواد فقال له أحمد : يا بني الأدب ميراث الأشراف ولست أرى عندك من سلفك ميراثاً ، فاستحسن كلامه من حضر مجلسه"[٢]

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم ج١ ص٢٦٤ المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر ــ الناشر: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

(٢) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة ص١٣المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

المبحث الثاني: عدم مراعاة المقام

مراعاة المقام من أهم القضايا التي شغلت علماء البلاغة ، كما ذكر سابقًا ؛ إذ لا بد من مناسبة الكلام لمقتضى الحال ، والغرض الذي سيق الكلام لأجله " ومناسبة الكلام للغرض : بأن يناسبه في الرِّقَّة والجَزَالة، وبأن تناسبَه كيفيَّةُ انتظامِه من سَجْعٍ وتَرَسُّلٍ وإيجاز وإطناب وبَسَاطَةٍ وصَنْعَة، وهذا أهمُّ شيءٍ في الإنشاء ،... ولا شك أنَّ لأحوال المتكلِّمين أيضًا علاقةً بحالةِ إنشائِهم، فلذلك غَلَب على العرب الأندلسيين الرِّقَّةُ في الكلام، وعلى العرب في صدر الإسلام الجَزَالة، وعلى أهل الحواضر والسَّبْق في المدنِيَّة مُخْتَرَعُ المعاني، وبعكسهم أهل البوادي"(١)

إذن أساليب الكلام يجب أن تطابق المقام رقة وجزالة ، علوًّا وانخفاضًا، والمتنبي كعادته له كيانه الخاص ، ونبرته الشعرية المتفردة ، يقول ما يحلو له وقتما يحلو له ، فكما رأينا في المبحث السابق أنه لم يراع الرتبة لأسبابه الخاصة ، نجده هنا أنه قد لا يراعي المقام لشيء في نفسه أيضًا ، سواء أكان ذلك في مقام الرثاء أو مقام الطرب.

وهذا ما سيتضح من خلال هذا المبحث الذي قسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : عدم التناسب بين مقام الحزن في الرثاء وألفاظ الفرح.

المطلب الثاني : عدم التناسب في مقام الطرب.

المطلب الأول: عدم التناسب بين مقام الحزن في الرثاء وألفاظ الفرح

"الرثاء فن الموت، ولغة الحزن، ومجال اليأس، ومعرض الوفاء، والحزن في الأصل عاطفة سلبية تحمل الإنسان على العكوف على النفس، والتفكير في شأنها فهو انهزام أمام الكوارث، ومدعاة إلى العظة والاعتبار لذلك يكون أسلوب

---

(١) ينظر أصول الإنشاء والخطابة ص ١٠٥المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) المحقق: ياسر بن حامد المطيري الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ

المرائي رقيقًا لينًا " [1]

فالكلام في الرثاء يجب أن يكون مطابقًا لهذا المقام ، حتى يدرك الشاعر غايته ويصل إلى مبتغاه " وكانت العرب تقدم مراثي وتفضلها، وترى قائلها بها فوق كل مؤبن، وكأنهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت، وفي كنفها تصلح"[2] ؛ وذلك لأن هذه المراثي إنما ناسب فيها الكلام مقتضى الحال، ولم يتطرق فيها قائلها إلى معنى شارد أو تركيب غريب ، أو مبالغة مرفوضة لا تناسب المقام ؛ مما يجعله عرضة لنقد النقاد .

فالشعراء الذين قالوا شعرًا في الرثاء نجدهم " قد جمعوا فيه بين الندب والتأبين، وأضافوا إليهما العزاء، إذ بكوا المفقودين والهالكين، وناحوا عليهم، ودعوا بالرضوان لهم. وعددوا فضائلهم، وأحصوا محامدهم، وتطرقوا إلى التعزية فيهم، مرددين أن الموت قدر محتوم"[3]

لكن المتنبي نجد له استقلالية في شعره فهو ليس كغيره من الشعراء، فقد صنع له كيانًا خاصًّا، وأسلوبًا متفردًا، فنجده يخالف ذلك في بعض أشعاره مما يجعله عرضة للنقد ، وهذا ما فعله ابن رشيق عندما أخذ عليه عدم التناسب في مقام الرثاء بين ما يستلزمه من حزن وما في أبياته من ألفاظ وتراكيب فيها فرح أو سرور..

فمما جاء فيه من ألفاظ لا تتناسب مع الحزن والدمع استعمال الجمال والحنوط وما يتعلق بالزينة في مقام الحزن ، وكأنه في عرس قوله:

---

(١) الأسلوب ص ٨٦ المؤلف: أحمد الشايب ــ الناشر: مكتبة النهضة المصرية ــ الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب ج٤ ص ٥٤ ــ المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ــ الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

(٣) الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ص ١٩٦ ــ المؤلف: حسين عطوان ــ الناشر: دار الجيل الطبعة: طبعة ثانية منقحة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م .

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال[١]

يقول ابن رشيق :" ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا : ماله ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال الصاحب بن عباد :استعارة حداد في عرس، فإن كان أراد بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة في هذه القصيدة، على أن فيهما ما يمحو كل زلة، ويعفى على كل إساءة قال الصاحب بن عباد : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله:

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك على ابنك في كمال[٢]

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق الرقيق، وأنا أقول : إن أشد ما هجن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك؛ فجاء عملاً تاماً لم يبق فيه الإفضاء."[٣]

ففي البيت الأول يقول المتنبي : دعاؤنا لهذه المرأة المتوفاة بالرحمة والمغفرة هذا الدعاء الذي يكون بمثابة الطيب الذي يعطر جسدها، ووجهها الذي غطاه الجمال حتى وهي ميتة.

---

(١) الديوان ج٣ ص ١٢ .

(٢) الديوان ج٣ ص١٣ .

(٣) العمدة ج٢ ص١٥٤-١٥٥ .

وقد بدأ الشاعر بيته بقوله (صلاة الله) "الصَّلاةِ: هِيَ العبادةُ المخصوصةُ، وأَصلُها الدعاءُ في اللغة فسُمِّيت بِبَعْضِ أَجزائِها"[1] فهو قد افتتح كلامه بالدعاء لهذه المرأة بالرحمة والمغفرة، وهذا حق الميت على أهله وذويه. وأضاف الصلاة إلى لفظ الجلالة ليخص الله سبحانه بالدعاء فهو وحده الذي نتوجه له بالدعاء والعبادة ، وقال (خالقنا) ليؤكد على استحقاقه سبحانه بالدعاء ؛ لأنه الخالق ولا خالق سواه، فهو بيده الحياة وكذلك الموت.

وقال : (حنوط) فقد جعل هذا الدعاء بمثابة الحنوط ؛ لأن هذا الدعاء يعطر هذه المتوفاة ويطيبها ؛ لأنه يمحو عنها الآثام والذنوب، وخص (الحنوط) ولم يقل طيبًا ولا عطرًا مثلا ؛ لأن " الحَنُوط : طِيب يُخلط لِلْمَيِّتِ خَاصَّةً"[2]

ثم قال (على الوجه) باستخدام حرف الجر (على) ؛ لأن هذا الحنوط كالهالة التي تعلو وجهها وتغطيه.

وقال : (المكفن بالجمال) فهذه استعارة جعل فيها الجمال الذي علا وجهها وهي ميتة ، كأنه كفن يغطي وجهها . وهذه استعارة أخذها النقاد على الشاعر وعابوه عليها ، إذ كيف يصف امرأة عجوزًا ميتة بالجمال ، فهذا لا يليق بمقام الرثاء ، فكان الأجدر والأولى ترك هذه الاستعارة ، ولكن سقط الشاعر حين عبر بهذه الاستعارة وكما يقولون لكل جواد كبوة .

وفي البيت التالي ما زال الشاعر يرثي أم سيف الدولة فيقول: إن العز الشامل ممتد فوقك ، وكذلك سلطان ابنك تام لا ينقصه شيء.

بدأ الشاعر بيته بقوله (رواق العز) فقد جعل العز رواقًا لعظمته

---

(١) لسان العرب ج١٤ ص ١٦٦ .

(٢) السابق ج٧ ص ٢٧٨ .

وشموله وظهوره ؛ لأن " الرَّوْقُ الرِّواق وَهُوَ مَا بَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ.... فإذا كَانَ بَيْتًا ضَخْماً جُعِلَ لَهُ رِواق وكِفَاءٌ، وَقَدْ يَكُونُ الرِّواقُ مِنْ شُقّة وشُقَّتين وَثَلَاثِ شُقق.... وَقَالَ بَعْضُهُمْ :رِوَاقُ الْبَيْتِ مُقدَّمه"(١) وعرف (العز) بـــ (أل) ليقول بأنه العز المعروف لكل إنسان ولا ينكره أحد .

ثم جعل هذا الرواق ممتدًّا فوق هذه المرأة فقال (فوقك مسبطر) وقدم الظرف (فوقك) ليقول إن هذا العز علاها وشملها ، وقال مسبطر ؛ لأن " اسْبَطَرَّ : أَسرَعَ وامتَدَّ . والسِّبَطْرُ : السَّبْطُ الممتَدُّ.... وَكُلٌّ ممتدٍّ مُسْبَطِرٌّ." وذلك ليوحي بامتداد هذا العز فهو لا يعلوها هي فقط بل يمتد لأبعد من ذلك. وقد عاب عليه ابن رشيق الاتيان بلفظة (مسبطر) لما فيها من الاستهجان بالإضافة إلى أنه قرنها بلفظة (فوقك) فزاد الأمر سوءا وشناعة يقول ابن رشيق :" فجاء عملاً تاماً لم يبق فيه الإفضاء."(٢) فأي رثاء هذا ؟ وأي مدح في ذلك لتلك المرأة؟ ولا نستطيع أن نقول إنه جاء بهذه الكلمات للضرورة الشعرية ؛ لأن المتنبي هذا الشاعر المفلق لا يعجزه أن يأتي بكلمات مثلها على نفس الوزن ، فلو قال مثلا : (رواق العز حولك مستقر) لكان أفضل.

وفي بداية الشطر الثاني عبر بكلمة (ملك) ؛ لأن هذه الكلمة تجمع بين العز والسلطان والعظمة "فالمُلْكُ : مَعْرُوفٌ وَهُوَ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ كالسُّلْطان؛ ومُلْكُ اللَّهِ تَعَالَى ومَلَكُوته : سُلْطَانُهُ وَعَظْمَتُهُ. وَلِفُلَانٍ مَلَكُوتُ الْعِرَاق أَيْ عِزُّهُ وَسُلْطَانُهُ ومُلْكه" (٣)

وقال : (على ابنك) باستخدام حرف الجر (على) ليوحي بأن ابنها

---

(١) ينظر لسان العرب ج١٠ ص ١٣٣-١٣٤ .

(٢) العمدة ج٢ ص١٥٤-١٥٥ .

(٣) لسان العرب ج١٠ ص ١٩٢ .

يعلوه العز والعظمة والسلطان وكيف لا ؟ وهو ابن تلك المرأة التي يعلوها العز ويشملها.

ثم قال: (في كمال) لأن " الكَمَال: التَّمام" [١] فلقد تم ملكه فهو ليس في احتياج لأي شيء أو لأي شخص ، واستخدام حرف الجر(في) يوحي باستقرار هذا الملك في الكمال فليس بعرضة للانتقاص.

كذلك قد تكون الصورة في بنيتها واختيار مفرداتها غير متناسبة مع الرثاء وما يستلزمه فيبالغ فيها بما يخرج عن الغرض.

ومن ذلك: يقول ابن رشيق : وقال أبي الطيب في رثاء أم سيف الدولة :

مشى الأمراء حوليها حفاة ... كأن المرو من زف الرئال[٢]

(من الوافر)

يقول ابن رشيق في تعليقه على البيت" "فالزف :" أصغر الريش وألينه، ولا سيما النعام، ولم يرض بذلك حتى جعله زف الرئال، شبه به المرو وهو ما صغر من الحصى وحد فهذا فوق كل مبالغة وإيغال"[٣]

يقول الشاعر في البيت : إن هذه المرأة لعظمتها وعلو شأنها اتبع جنازتها الأمراء الذين لم يشغلهم عن جنازتها الاهتمام بمظهرهم ؛ فالتفوا حولها وهم حفاة ، وهم من شدة الحزن عليها لا يشعرون بالحصى الذي تحت أرجلهم ، حتى كأنهم يسيرون على ريش النعام الصغير اللين.

ومن الألفاظ والأساليب التي استخدمها الشاعر في البيت أنه قال: (مشى الأمراء) فالذي تبع جنازتها هم الأمراء وهذا يدل على شرف تلك

---

(١) لسان العرب ج١١ ص ٥٩٨ .

(٢) الديوان ج ٣ ص ١٧ .

(٣) العمدة ج٢ ص ٥٩ .

المرأة ويوحي بعلو شأنها ، فم يتبع جنازتها العامة أو السوقة، وإنما الأمراء الذين عندهم الكثير مما يشغلهم كأمور الإمارة ، فتركوا كل ذلك ولم يكن همهم سوى اتباع جنازة تلك المرأة.

وقال : (حوليها) مِنْ قَوْلِهِمْ رأَيت النَّاسَ حَوالَيْه أَي مُطِيفِينَ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ؛...واحْتَوَشَه القومُ :احْتَوَشُوا حَوالَيْه" [1] وذلك يوحي بكثرة عددهم فهم لا يسيرون أمام الجنازة فقط أو من خلفها بل هم يلتفون حولها من كل جانب.

وقال : (حفاة) و " الحَافِي الَّذِي لَا نَعْلَ لَهُ وَلَا خُفَّ"[2] ؛ ليوحي بانشغالهم بجنازتها والحزن عليها ، عن أي شيء ، حتى إنهم تخلوا عن حسن هندامهم، و أناقتهم فلم يبالوا بكونهم يلبسون نعالا أم لا.

"ثم أتى في الشطر الثاني بهذا التشبيه الذي هو للإيغال مبالغة في وصف شدة حزنهم على موت تلك المرأة فقال : (كأن المرو من زف الرئال) فقد شبه مشيهم على الحجارة حفاة مع عدم شعورهم بأي ألم بالمشي على ريش الناعم، وليس الريش على إطلاقه بل هو ريش النعام ، وأيضا ليس ريش النعام على إطلاقه بل ما صغر منه ولان، وهذه مبالغة في وصف شدة الحزن الذي جعلهم على تلك الحالة من اللاشعور فقد سيطر الحزن على جميع حواسهم حتى خرجوا حفاة يمشون على الحجارة التي تكاد تدمي الأرجل ومع ذلك لا يشعرون بأي ألم .

فهذه المبالغة لا تتناسب مع مقام الرثاء ولا المرثو، فهؤلاء الأمراء يصلون إلى تلك الحالة من الحزن لمجرد موت أم سيف الدولة ، فهذا فوق كل مبالغة وإيغال كما قال ابن رشيق.

---

(١) لسان العرب ج١١ص١٨٧ .

(٢) السابق ج١٤ ص ١٨٩ .

فالأبيات الثلاثة السابقة في الرثاء جاء فيها الشاعر بالألفاظ والأساليب والتشبيهات والاستعارات التي لا تتناسب مع مقام الرثاء مما جعله عرضة للانتقاد ، ولكن هذا هو المتنبي أليس هو القائل:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الناس جراها ويختصم[1]

فهو دائما يأتي بالغريب والشارد والعجيب ؛ فيجعل الخلق يحتارون في مراده ، ويختصمون في معرفة مقصده .

المطلب الثاني: عدم التناسب في مقام الطرب [2]

مما لا شك فيه أن المدح والغزل يختلفان عن غيرهما من الأغراض، فالمدح والغزل على وجه الخصوص يجب أن تكون التراكيب والصور فيهما على نحو من السلاسة ، وبعيدة كل البعد عن التعقيد" فألفاظ الحب والْغَزَلِ، غير ألفاظ العتاب والتثريب، وألفاظ المدح غير ألفاظ الهجاء. إنّه ليس من المستحسن في المدح أن يُقالَ : ثَقِيلُ الجود، ولا أن يقال في الغزل : ثقيل الحبّ، أو عنيفُ الهوى، ولا أن يقال في الإرهاب : لطيف العبور نافذ الإرادة، إلاَّ في مُخَاطبة لمَّاحي الذكاء، وعلى سبيل الإشارة، إلى

---

(١) الديوان ج٣ ص ٣٦٦ سبق تحليل البيتين .

(٢) المقصود بالطرب: حلول الفرح وذهاب الحزن ... والطرب الشوق (ينظر اللسان ج ١ ص ٥٥٧) وقد قصدت بالطرب هنا المدح والغزل وإنما جمعتهما تحت هذا المقام ؛ لأن كليهما مطرب وطارب ؛ ولأن ما يستلزمهما من تراكيب وأحوال تختص بالطرب ورواح النفس .

غير ذلك من اختيار ألفاظ غير ملائمة للمعاني الّتي يُرادُ التأثير بها"[١] فإذا جاء الكلام على نحو لا يطابق فيه المقام ضاع أثـره ، واختفـى التـأثير المرجو منه.

وهذا ما فعله المتنبي في بعض أبياته في مقام المدح والغزل .

ففي مقام المدح جاء التعقيد جليًّا بما لا يناسـب سلاسـة الـنفس وانقيادها .

قال أبو الطيب:

أقل أنل أقطع احمل على سل أعد ... زد هش بش تفضل أدن سر صل[٢]

(من البسيط)

ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع:

عش ابق اسم سد قد جد مر انه ره فه اسر نل .

غظ ارم صب احم

اغز اسب رع زع دل اثن بل[٣]

في البيت الأول: "أمره بأَرْبعَة عشر أمرًا فِي بَيت وَاحِد ، أقل مـن الْإِقَالَة وأقلته من عثرته وأقلته من البيع عِنْد النَّدَم فِيهِ ، أنل من الإنالة نلته وأنلته ، أقطع من الإقطاع أقطعته أَرض كَذَا ، احْمِلْ من قَوْلهم حَملته على فرس وَمِنْه حَدِيث عمر بن الْخطاب حملت على فرس فِي سَبِيل الله تَعَالَى ، وَقَوله : عل من الْعُلُوّ والرفعة ، وسل من السلو ، وَأعد من الْإِعَادَة ، وزد

---

(١) البلاغة العربية ج٢ ص ٥٢١ المؤلف: عبد الرحمن بن حسـن حَبَنَّكَـة الميـداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشـق، الـدار الشـامية، بيـروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

(٢) الديوان ج٣ ص ٨٦ .

(٣) السابق ج٣ ص ٨٩ .

من الزِّيَادَة ، وهش من قَوْله : هششت إِلَى كَذَا وَهُوَ التهلل نَحْو الشَّيْء ، وبش من البشاشة وَهِي الطلاقة بششت بِالرجلِ أبش ، تفضل من الإفضال ، أدن من الدنو ، سر من السرُور ، صل من الصِّلَة وَهِي الْعَطِيَّة.

والْمَعْنى يَقُول: أقل من استنهضك من عثرته وأنل من اسْتَعَانَ بِفَضْلِك على قلته وَفَقره وأقطع الضّيَاع من أملك وقصدك واحمل على سوابق الْخَيل من استحملك وأعل قدر من اعتلق بك وسل عَن كل ذِي هم همه بِمَا تجدده من برّك وتسبغه من فضلك وَأعد ذَلِك وأدمه وجدده وزد فِي غدك على مَا تفضلت بِهِ فِي يَوْمك وهش ورحب بِمن قصدك وَأظْهر البشاشة لمن اعتمدك وَدم على مَا عهد من تفضلك وأدن الْوَافِد عَلَيْك وسره بمتابعة إحسانك وصل الْجَمِيع بتطولك وإنعامك"[1]

والبيت الثاني علق عليه ابن رشيق بقوله : "فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع، ولا بد من شرحها.. قوله : عش ابق دعاء له بالعيش والبقاء، واسم : من السمو، وسد : من السيادة: أي دم هكذا، وقد : من قود الخليل، وجد : من الجود والسماح، أو من الجود وهو المطر الغزير، مر انه : من الأمر والنهي، ره : من الورى تثبت الهاء فيه أظنه في الخط دون اللفظ، على أنه ليس موضع وقف، ولا يجب أن يكتب بلا هاء لئلا يخالف العادة وتقع كلمة على حرف واحد، والورى : داء في الجوف: أي اصنع ذلك بإعدائك وحسادك، فه : من الوفاء، واسر : من سرى الليل، يصفه بالعزم والغارات، ونَل : من النيل والإدراك، أي : نل ما تحب، وروى : نُل أي أعط، من النول، ويقال : نُلته إذا أعطيته، وغظ : من غيظ الحسود، ويروي عظ من الوعظ، وارم : من رمي العدو بالمكايد وغيرها، وصب : من صاب المطر والهم، واحم : من حميت

---

(١) الديوان ج٣ هامش ص ٨٦ .

المكان، واغز : من الغزو، واسب : من السبي وارع: من الـــروع، وزع : من وزعت، أي : كففت، ودِ : من الدية، ولِ :من الولاية للأمور وقد يكون من المطر الولي، واثن : من ثنى أضداده إذا ردهم، وبل : من الوابل، وهذه غاية المقت والبغاضة .(١)

"والْمَعْنى يَقُول: عش فِي نعْمَة سَالِمَة حَتَّى تفني أعداءك ، وابق فِي عز مؤبد حتى تحيي أولياءك ، وَاسم أَي اعْل على كـــل الْمُلُـــوك بـــالقهر وَالْغَلَبَة ، وسد أهل زَمَانك بِالْكَرمِ وَالْفضل والشجاعة ، وَقد الْجَـــيْش إِلَـــى أعدائك ، وجد بِعَطَائك على أوليائك ، وَمر مسموعًا أَمـــرك ، وانـــه عبـــر مُخَالف نهيك ، ور أَعداءك بظهورك عَلَيْهِم أَي اصب رئاتهم بإيجاعك لَهُم ، وف لأوليائك بإحسانك إِلَيْهِم وبنعمك عَلَيْهِم ، واسر إِلَى أعدائك بجيوشـــك لتستأصلهم ، ونل مَا تبغيه بسعدك وإقدامك وتأييدك لِأَنَّك مؤيـــد بالنصـــر ، وغظ بظهورك من يحسدك ، وارم ببأسك من يخالفك ، وصف من تعتمـــده برميك ، واحم ذمارك بهيبتك وببأسك ، واسب بجيوشك حَـــرِيم أعـــدائك ، ورع بمخافتك أَمنهم ، وزع أَي كف بوقائعك مسلطهم ، ود احْمِـــلْ الـــدِّيات متفضلا على تبعك وحشمك ، ول الْأَمْصَار مشكورا فِـــي ولايتـــك ، واثـــن الْأَعْدَاء عَنْهَا بحمايتك ، ونل عفاتك بجدودك ، وأمطر عَلَيْهِم سحائب فضلك ، وعَلَى الرِّوَايَة الْأُخْرَى نولهم مَا يطْلبُونَ من عطائك الجزيل"(٢)

ففي هذين البيتين أتى المتنبي بأفعال أمر متتالية ، وهـــذه الأفعـــال يصعب تفسيرها ومعرفة المعنى المراد منها بسهولة ففيها التعقيد بنوعيه؛ التعقيد المعنوي ؛ لأن بعض الأفعال لا يدرى مادتها من أي أصل ؛ فمن هنا أبهم معناها.

---

(١) العمدة ج٢ ص ٣٠- ٣١ .

(٢) الديوان ج٣ هامش ص ٨٩ .

ثم فيها التعقيد اللفظي لبنائه الأفعال على وجه يخالف العربية ونسقها ، حتى إن ابن رشيق نفسه حين فسر معاني هذه الأفعال ذكر بعض هذه المعاني على وجه الترجيح لا القطع ، كما أن بعض الكلمات قد تصرف بها على غير مقتضى اللغة .

وبهذا جمع في البيتين التعقيد بنوعيه، وهل هناك أكثر تعقيدًا من هذا ؟ فإذا كان هذا التعقيد أتى به المتنبي في مقام المدح _ وهو بالتأكيد لا يتناسب مع هذا المقام _ فكيف يكون هجاؤه؟

المدح لا بد أن تكون فيه الألفاظ سهلة ، والتراكيب مرنة محببة للنفس يهش من يسمعها ، ويطرب لها ، لا أن يتكبد المشقة والعناء من أجل أن يفسرها ويصل إلى المراد منها، فهي بحق كما قال ابن وكيع : رقية العقرب ، وليس مدحًا ترتاح له النفس، وتأنس به .

قال ابن الأثير " فهذه الألفاظ جاءت على صيغة واحدة، وهي صيغة الأمر، كأنه قال" : افعل افعل ... ، هكذا إلى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة، وإن لم يكن تكريرًا للحروف، إلّا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه. وهذه الألفاظ متراكبة متداخلة، ولو عطفها بالواو كانت أقرب حالًا"(١)

وقال العلوي "وفيها ما ترى من الثقل على المسموع من أجل تكريرها على هذا الوجه، وقد تضمن سياقها تركيبًا وتداخلا مكروها"(٢)

وقال ابن حجة الحموي بعض أن فسر هذه الكلمات "ولم أقصد بحل هذه الألفاظ إلا إيناسًا تزول به وحشة العقادة عن المتأمل، فإن هذه الجملة ما استولت عليها عقادة التركيب إلا لكون كل كلمة منها فعل أمر، ولم يأت في الجملة

---

(١) المثل السائر ج١ ص٣١٢ .

(٢) الطراز ج٣ ص ٣١-٣٢ .

القصيرة على هذه الصفة شيء من فصيح الكلام"[١]

هذه أقوال العلماء في البيتين فليس فيهما أي وجه من وجوه الاستحسان ، ولكن من العجب أن سيف الدولة أعجبه هذا الكلام بل وأمر للمتنبي بالعطايا " فيقال : أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَقَعَ تَحْتَ أَقُلْ أَقَلْنَاكَ وَتَحْتَ أَنِلْ أَنَلْنَاكَ يُحْمِلُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّرَاهِمِ كَذَا وَتَحْتَ أَقْطِعْ أَقْطَعْنَاكَ الضَّيْعَةَ الفُلانِيَةَ ضَيْعَةٌ بِبَابِ حَلَبَ وَتَحْتَ أَحْمِلْ يُعَادُ إِلَيْهِ الفرسُ الفُلانِيُّ كَذَا إِلَى آخرِ البَيْتُ."[٢]

وإن كان ولا بد فقوله أيضاً:

دان بعيد، محب مبغض، بهج أغر، حلو ممر، لين شرس

ند أبي غر واف أخو ثقة جعد سرى نهٍ ندب رضاً ندس[٣]

ند : من الندى، وغر : من غرى به، ونهٍ : من النهى، وأصل هذا كله من قول امرئ القيس:

أفاد فجاد، وشاد فزاد ... وقاد فذاد، وعاد فأفضل[٤]

قال المتنبي هذه الأبيات يمدح عبيد الله بن خراسان (الطرابلسي)[٥]

يقول في البيت الأول: "هو قريب ممن يقصده، بعيد ممن ينازعه، محب للفضل وأهله، مبغض للنقص وأهله، يبهج بالقصاد، حلو لأوليائه، مر على أعدائه، لين حسن الخلق على الأولياء، شرس صعب على الأعداء، يريد أنه جامع لهذه الأوصاف.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص٢٤٧ .

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد ج٥ ص ١٥٥ المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ) المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .

(٣) الديوان ج٢ ص ١٨٩- ١٩٠ .

(٤) العمدة ج٢ ص ٣٠- ٣١ .

(٥) الديوان ج٢ ص ١٨٥ .

ويقول في البيت الثاني: هو ندي الكف كريم ، يأبى الدنايا، ولا يميل إليها، مغرى بفعل الخير، واف بالعهد... موثوق به يؤمن عند الغيب، ... ماض في أمره لا يقف عند لوم لائم، ... وهو شريف النفس، ذو نهية ، أي عقل، ندب سريع في الأمر، مرضي القول والفعل، يرضى به كل أحد، لمعرفته بالأمور وما تؤول إليه ؛ وذلك لكثرة تجاربه وحسن رأيه ، ندس بحاث عن الأمور عارف بها."(١)

والشاعر جاء في البيت الأول بالطباق ؛ حيث أتى بالصفات المتضادة فاتبع كل صفة الضد منها فقال: (دان– بعيد) و(محب – مبغض) و(حلو – مر) و(لين – شرس) ؛ ليقوي المعني ويوضحه ويؤكده ، وكما يقال : (الضد يظهر حسنه الضد)؛ وأيضًا ليوحي بأنه يتعامل مع الأحباب والأعداء كل بما يليق به، فلا ينخدع عدو بقربه ومحبته وحلاوته ولينه ؛ لأن هذا مع أحبابه فقط ، أما إذا اقترب أعداؤه منه فلن يكون إلا (بعيد مبغض مر شرس) .

ثم أتى في البيت الثاني بعدة صفات متتالية تجمع له جمال الظاهر والباطن ، وكل هذه الصفات في البيتين جاءت على صيغة الاسم ، لتفيد اتصاف الممدوح بها على جهة الثبوت والدوام .

وقد جاء الشاعر في البيتين بما يسمى "(تنسيق الصفات) وهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية، كقوله عزّ وجلّ :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣)"(٤)

---

(١) الديوان ج٢ هامش ص ١٨٩– ١٩٠ .

(٢) الحشر من الآية ٢٣ .

(٣) الفتح أية ٨ .

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ج٧ ص١٣١ .

وقال صاحب الطراز" فى بيان المعاظلة بالصفات المتعددة فلما حصلت هذه الأوصاف على هذه الصفة ثقلت على الألسنة ومجتها الآذان، وصارت بمنزلة سلسلة بلا شك، وقطع فضة أو ذهب مبددة من غير سبك، وليس يخفى على من له أدنى ذوق مخالفة هذا لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1]، مع كونها أوصافا متعددة من غير واو، لكن بينها بعد لا يدرك أمده، ولا ينال حصره ولا عدده، في حسن التأليف وجودة السبك ولذة المسموع وسهولة الأسلوب."[2]

قال ابن الأثير" وهذه معاظلة لفظية، وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيرًا"[3]

فهذه المعاظلة تمجها الآذان ولا تستريح لسماعها ، فنجد" سرعة الأذن في إدراك الرتابة الصوتية التي تبدو في ترديد نغمة بعينها في النص الأدبي حيث تبعث الملل، وخير منه التنويع الذي يحتفظ فيه بمستوى الموسيقى لتلائم الموضوع. وكثيرًا ما يقع الكتاب والشعراء والخطباء في هذا الخطأ وهو نوع من المماطلة اللفظية"[4]

ولكن السؤال هنا: لماذا أتى المتنبي بهذين البيتين على هذا الشكل الذي وصفه النقاد بالمعاظلة ، والمماطلة، والثقل؟ الجواب: ربما أراد الشاعر أن يعبر عن حالته النفسية ، وما يشعر به من ثقل حين مدح هذا الرجل، إذ كان ولاؤه لسيف الدولة ؛ فهو الوحيد القريب إلى نفسه، يجد الراحة في قربه والسعادة في مدحه ، أما غيره فلا يمدحه إلا رغما عنه، وهذا ظاهر في مدحة ؛ إذ يتجلى في هذا المدح استكراه اللفظ والمعنى ،

---

(١) الحشر من الآية ٢٣ .

(٢) ينظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٣ ص٣٣ .

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج١ ص٣١٥ .

(٤) الأسلوب ص٢٠١ .

مما يؤكد عدم رضاه عما يقول ويفعل، فنفسه غير راضية عن الممدوح وإن كان يمدحه، ولذا جاء كلامه غير متناسب مع مقام المدح ، الذي يستلزم سلاسة الألفاظ ، وسهولة التراكيب ، والبعد عن التعقيد.

وكما جاء المتنبي بما لا يتناسب مع مقام المدح ، جاء بما لا يتناسب في مقام الغزل ، يقول ابن رشيق:

ويقع له في الخروج ما كان تركه أولى به، وأشعر له، وإنما أدخله فيه حب الإغراب في باب التوليد، حتى جاء بالغث البارد، والبشع المتكلف، نحو قوله:

أحبك أو يقولوا جر نمل ... ثبيراً، وابن إبراهيم ريعا[1] (من الوافر)

"فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد، وما أظنه سرق هذا المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصيمري عن لسان رجل زعم أنه قال : رأيت رجلاً نام ويده غمرة فجره النمل ثلاثة فراسخ، فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل جبلاً" [2]

قال الشاعر هذا البيت في قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي[3]

وقد بدأها بمقدمة غزلية إلى أن وصل إلى هذا البيت الذي تخلص فيه من الغزل إلى المدح والذي يقول فيه مخاطبًا محبوبته: سأظل أحبك حتى يقولوا إن النمل جر جبل ثبير ، أو أن الممدوح خاف وفزع ، يريد أن يقول أن هذين الشيئين من المستحيلات ولذلك لا أتحول عن حبك أبدا.

وقد بدأ الشاعر بيته بقوله لمحبوبته : (أحبك) بالتعبير بالفعل المضارع ليستحضر صورة الحب المستمر المتجدد الذي لا ينقطع ولا

---

(١) الديوان ج٢ ص٢٥٣ ، و ثَبِيرٌ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ . لسان العرب ج٤ ص ١٠٠
ورِيعَ فُلَانٌ يُراع إِذا فَزِع . لسان العرب ج٨ ص ١٣٦ .

(٢) العمدة ج١ ص٢٣٩- ١٤٠ .

(٣) الديوان ج٢ ص ٢٤٩ .

يزول، بالإضافة إلى التعبير بكلمة (أحبك) دون غيرها كأودك أو أعشقك مثلا ؛ لأن " الْحبّ يكون فِي مَا يُوجِبهُ ميل الطباع وَالْحكمَة جَمِيعًا ، والود ميل الطباع فَقَط ...

وأَن الْعِشْق شدَّة الشَّهْوَة لنيل المُرَاد من المعشوق إِذا كَانَ إِنْسَانًا والعزم على مواقعته عِنْد التَّمَكُّن مِنْهُ " [1] فقد أراد أن يقول إن ما يكنه لمحبوبته هو الحب الخالص المجرد من أي شيء يشوبه، الحب الذي يلامس فيه قلبها وروحها ، لا الذي يلامس فيه جسدها.

ثم أراد أن يدلل على قوة هذا الحب وأنه لن ينتهي أبدا فقال : (أو يقولوا جر نمل ثبيرا) فعبر بـ (يقولوا) ليدلل على أنه لن يترك حبها إلا إذا سمع الناس يقولوا ويرددوا على وجه الاستمرار أن النمل جر جبل ثبير.

وعبر بالماضي (جر) لإفادة تحقق الوقوع أي : إذا تحقق هذا الفعل وحدث في الواقع، وعبر بـ (نمل) ليعلق الأمر على مستحيل ، فهذا المخلوق الصغير جدًّا إن جر هذا الجبل الضخم جدًّا ؛ فهو سوف يتحول عن حبه وينسى حبيبته، ولكن هذا لن يكون أبدًا.

ثم علق هذا الأمر على أمر آخر عده الشاعر من المستحيلات كجر النمل جبل ثبير وهو أن يقال إن (ابن إبراهيم ريعا) أي كون الممدوح يفزع أو يخاف من شيء، فهذا لا يكون أبدًا ، ولذلك لن ينتهي حبه لهذه المحبوبة أبدًا.

وقال (ابن ابراهيم) ولم يقل اسمه (علي) ليوحي بشجاعة والد الممدوح أيضًا ، فالممدوح ورث الشجاعة عن والده ، أو كما يقال هذا الشبل من ذاك الأسد.

فلقد تعسف المتنبي في خروجه ، وتركه لهذا التخلص كان أسلم له من الإتيان به ؛ مما جعله عرضه لنقد الكثير من النقاد ، فليس ابن رشيق فقط هو من عاب عليه هذا الخروج ؛ فقد قال ابن حجة الحموي معلقًا على

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية ج١ ص ١٢٢ .

هذا البيت : "انظر ما أبرد هذا التخلص وأشد تعسفه، ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن، وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرًا وأن يخاف ممدوحه ، فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلًا منهما من المستحيلات"(١)

وقال ابن الأثير "وهذا تخلّص كما تراه بارد، ليس عليه من مسحة الجمال شيء، وههنا يكون الاقتضاب أحسن من التخلص؛ فينبغي لسالك هذه الطريق أن ينظر إلى ما يصوغه؛ فإن واتاه التخلّص حسنًا كما ينبغي وإلا فليدعه، ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا، كما فعل أبو الطيب، ولهذا نظائر وأشباه،"(٢)

وهذا التخلص يحمد للمتنبي في جانب واحد فقط ؛ وهو كونه في بيت واحد . يقول أسامة بن منقذ:" اعلم أن التخلص والخروج يستحب أن يكون في بيت واحد، وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين"(٣) لكن ما عدا ذلك فهو تخلص مستكره يعاب عليه الشاعر ، فالشاعر يجب أن يحسن الخروج كما أحسن الابتداء. قال ابن حجة الحموي في حسن التخلص". ولعمري إنها طريقة بديعة، ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة. وتمكن الذهن من البراعة، وإن لم يكن كذلك لم يعد من أنواع

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص٣٣١ .

(٢) المثل السائر ج٢ ص٢٥٨ .

(٣) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٨ المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ) بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ــ الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة

البديع. والقرائح تختلف فيه وتتفاوت"[١]

كما لا يتناسب ما أتى به مع مقام الغزل الذي يستلزم الرقة في التعبير والسلاسة في الأسلوب، فهذه الصورة التي أتى بها غير محببة للنفس، لكونه علق التحول عن حبها على جر النمل للجبل وخوف الممدوح وجعلهما من المستحيلات ، فمن باب أولى أن يجعل التحول عن حبها هو المستحيل نفسه الذي لا يقارن بأي مستحيل آخر.

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص٣٣١ .

الخـاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنـا لنهتـدي لـولا أن هـدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صـلى الله عليـه وسـلم وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

ففي نهاية هذه الدراسة تتجلى بعض النتائج التي توصـلت إليهـا وهي:

١ وقوف البحث من مناقدة ابن رشيق للمتنبي موقف المتأمل فـي نظم الكلام والمتتبع لمستلزمات التحليل البلاغي من مراعاة الأحوال كلهـا، ومن ثم فلم يرتض له ما لم يوافق تلك الأسس الكلية التي راعاها البحث ؛ فرفض له بعض الآراء النقدية ، وكذلك فإنه وافقه في البعض الآخر.

فمن المواضع التي خالف فيها البحث ابن رشيق قول المتنبي:

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشـابه مولـود كـريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حـارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد

أثبت البحث أن المتنبي جاء في هذا البيت بلون من ألوان البلاغـة يسمى الاطراد ؛ فقد أتى بأسماء الممدوح وآبائه على الترتيب ؛ ليقول إنهم كلهم متشابهون في الفضل ، وهذا دليل على قوة الأصل ، وصحة النسـب، كما مر، وليس فيه تكلف ولا تعسف ولا تقصير نستشعر منه عدم التناسب في الرتبة كما ذكر ابن رشيق(١)

وكذلك عاب ابن رشيق على المتنبي في باب (الافتخار) في كتابه ، عـدم فخر المتنبي بآبائه ، وفي هذا عدم مراعاة للرتبة بين الولد ووالـده وذلـك فـي قوله:

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

---

(١) ينظر المبحث الأول المطلب الأول : عدم مراعاة رتبة المخاطب

ولكن "هو صالح؛ لأنه لم ينْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال : أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضلُكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة [١]

إذن فمن المقبول أن يشرف الإنسان ويفخر بنفسه، وهذا لا ينفي شرف آبائه .

فأثبت البحث أن المتنبي كان موفقا في بيته فهو يعتز بنفسه وشخصيته وشعره ، والجميع يعرف من هو جيدًا ، فلا غرو أن يترك الفخر بآبائه وأجداده ويفخر بنفسه، وهذا لا ينفي الشرف عن آبائه وأجداده ، وإنما أراد أن يقول كما قال القائل : (ها أنا ذا) .[٢] وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٢ . راعى البحث أسس التحليل البلاغي للترجيح بما يعين على تذوق الشعر وإعادة النظر إلى ما خالف فيه ابن رشيق المتنبي بناء على معايير النقد النظرية التي قاس عليها الكلام.

٣. كان لتتبع خواص الكلام عند المتنبي والربط بينها وبين شخصيته ونفسيته الأثر الشديد في تحليل نظمه بما هو أوفق إلى غرضه .

التوصيات :

أولا : استكمال النظر في نقد النقاد والبلاغيين لعيوب الشعراء ومراجعتها وفقًا لأسس التحليل البلاغي والنقدي.

ثانيًا : إعادة النظر ومراجعة قواعد البلاغيين وفق النظم العالي لاستكماله أو تصحيحه أو ابتكاره.

هذا والله الموفق والمستعان .

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٧٥ .

(٢) ينظر المبحث الأول المطلب الثالث : عدم مراعاة الرتبة بين الوالد وولده

فهرس المصادر والمراجع:

- أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ الناشر: مكتبة الحسين التجارية – القاهرة .
- الأسلوب المؤلف: أحمد الشايب ـ الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣ .
- أصول الإنشاء والخطابة المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) المحقق: ياسر بن حامد المطيري الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ.
- إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر ـ الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .
- الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين ـ الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- أمالي ابن الشجري المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) ـ المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي ـ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م.
- (١)البديع في نقد الشعر المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ) بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ـ الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة
- البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر) المؤلف: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ـ المحقق: د. حفني محمد شرف (أستاذ البلاغة، والنقد الأدبي المساعد – كلية دار العلوم، جامعة القاهرة) ـ الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة عام النشر: ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ـ المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .
- البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦

هـ - ١٩٩٦ م.
📖 البيان والتبيين المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ـ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ .
📖 التاج في أخلاق الملوك ـ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ـ المحقق: أحمد زكي باشا ـ الناشر: المطبعة الأميرية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
📖 تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص١٩٤المؤلف: دكتور إحسان عباس (المتوفى: ١٤٢٤هـ) الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان
📖 التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
📖 الجامع لعلوم الإمام أحمد الفقه الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح] الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
📖 خزانة الأدب وغاية الأرب ـ المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) ـ المحقق: عصام شقيو ـ الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م .
📖 خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
📖 الدر الفريد وبيت القصيد ـ المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ) ـ المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
📖 ديوان أبي نواس طبع بنفقة الخواجا لطف الله الزهار ١٨٨٤م ـ طبع في مطبعة جمعية الفنون ١٢٠١هـ.
📖 ديوان المتنبي بشرح أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ) المسمى التبيان في شرح الديوان ـ المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي ـ الناشر: دار المعرفة - بيروت .
📖 ديوان المتوكل الليثي د. يحيى الجبوري ـ الناشر مكتبة الأندلس ـ بغداد ـ بدون طبعة.

📖 زهر الأكم في الأمثال والحكم ــ المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) ــ المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر ــ الناشر: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

📖 سر الفصاحة ــ المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) ــ الناشر: دار الكتب العلمية ــ الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

📖 سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ــ المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي ــ النَاشر: دار الرسالة العالمية ــ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

📖 شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ــ تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ١٣٤٧-١٩٢٩م المطبعة الرحمانية بمصر.

📖 شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول المؤلف: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفليلي (المتوفى: ٤٤١هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان ــ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

📖 شعر علي بن جبلة الملقب بالعكوك (١٦٠-٢١٣هـ) ــ تحقيق د/ حسن عطوان ــ ط ٣ ــ دار المعارف.

📖 الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي ــ المؤلف: حسين عطوان ــ الناشر: دار الجيل ــ الطبعة: طبعة ثانية منقحة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

📖 الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري) المؤلف: يوسف البديعي الدمشقي (المتوفى: ١٠٧٣هـ) ــ الناشر: المطبعة العامرة الشرفية ــ الطبعة: الأولى، ١٣٠٨ هـ.

📖 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ــ المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ــ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ــ الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ــ الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

📖 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ــ المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

📖 عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ــ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) ــ المحقق: الدكتور عبد الحميد

هنداوي ــ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
📖 العقد الفريد تأليف : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى: ٣٢٨هـ ــ تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م
📖 العمدة في محاسن الشعر ــ المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ــ الناشر: دار الجيل ــ الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
📖 عيار الشعر ــ المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ) ــ المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع ــ الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة .
📖 غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة ــ المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) ــ ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين ــ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
📖 الفتح على أبي الفتح ــ المؤلف: محمد بن حَمَد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُورَّجَة البروجردي (المتوفى: نحو ٤٥٥هـ) ــ المحقق: عبد الكريم الدجيلي ــ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م .
📖 الفروق اللغوية ــ المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ــ حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ــ الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
📖 الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر) ــ المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ) ــ المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ــ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة .
📖 الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ المؤلف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) ــ الناشر: دار المعارف بمصر ــ الطبعة: الثانية عشرة .
📖 الكامل في اللغة والأدب ــ المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) ــ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة ــ الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
📖 اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي ــ المؤلف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري

(٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) ـ المحقق: محمد سعيد المولوي ـ الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

📖 لسان العرب ـ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ـ الناشر: دار صادر - بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .

📖 اللطائف والظرائف ـ المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) ـ الناشر: دار المناهل، بيروت .

📖 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) ـ المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت ـ عام النشر: ١٤٢٠ هـ .

📖 مجمع الأمثال ـ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) ـ المحقق: محمد محى الدين عبد الحميد ـ الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.

📖 مسائل الانتقاد ـ المؤلف: محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٦٠هـ) بدون طبعة.

📖 المصون في الأدب ـ المؤلف: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ) ـ المحقق: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: مطبعة حكومة الكويت الطبعة: الثانية، ١٩٨٤ م .

📖 معجم اللغة العربية المعاصرة ـ المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ـ الناشر: عالم الكتب ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

📖 معجم مقاييس اللغة ـ المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ـ المحقق: عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: دار الفكر ـ عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

📖 مفتاح العلوم ـ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ـ ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ـ الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

📖 منهاج البلغاء وسراج الأدباء صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ـ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.

📖 نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ــ المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ــ عُنِي بنشره: محمد عطيه الكتبي ــ الناشر: المطبعة الرحمانية بمصر ــ الطبعة: الأولى، ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م.

📖 النظرات ــ المؤلف: مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (المتوفى: ١٣٤٣هـ) ــ الناشر: دار الآفاق الجديدة ــ الطبعة: الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

📖 الوساطة بين المتنبي وخصومه ــ المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) ــ تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ــ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

📖 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ــ المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ــ المحقق: إحسان عباس ــ الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: ٠، ١٩٠٠ .